المجلس الأعلى للثقافة

عويل البحر

سعيد بكر

عويل البحر

سعيد بكر

القاهرة
١٩٨٣

التمثال

رفرف طائر بجناحيه وشق السماء نحو لاشيء ..
دار حول نفسه فى الفضاء الشاسع .. لم تبرح عيناه
الطائر الهائم فى السماء الرحبة .. عاد وحلق من جديد
فوق الرأس الحجرى .. ثم استكان فوق الكتف المفتول
العضلات .

ابتسم واستنشق دفعة ندية من الهـواء .. غادر
حافة النافذة وشيء سار يسرى فى دمـائه .. مازالت
الابتسامة ترنو فوق شفتيه .. رأى زوجته وهى تعـد
الفطور .. التقط حبة زيتون وقال :

ـ انى جائع .

ـ انتظر ريثما أعد الشاى .

اختفت عن عينيه .. لاك حبة الزيتون .. يمم
نحو النـافذة .. رمى بعينيه الى الميـدان الشاسع ..
لا أحد هناك .. الشمس تبدو من خلف العنق الحجرى

الضخم شاحبة ·· مازال الطـائر واقفـا فوق الكتف الحجرى ··

ـ ألن تتناول فطورك ·

قال أثناء اتجاهه نحو المنضدة الكبرى :

ـ شهيتى مفتوحة هذا الصباح ·

جلس الى جـوار زوجتـه ·· راح يأكل بشـهية مفرطة ··

قالت الزوجة :

ـ مدينة جميلة ·

قال :

ـ وجديدة ·

صبت الشاى ·· ابتلع لقيمات ·· همس :

ـ هل رأيت الميدان ؟·

ـ لم أجـد الفـرصة ·· ترتيب الأثاث ابتلع كل وقتى ·

قال :

ـ ميدان رائع ٠

هتفت الزوجة وكأنها تذكرت شيئا بغتة :

ـ لم تر ذلك العملاق ؟٠

تساءل :

ـ أى عملاق ؟٠

ـ ذلك الذى يتوسط الميدان ٠

ـ تقصدين التمثال الكبير ؟٠

ـ لمحته أثناء تنفيضى النوافذ ٠

ـ ألم تحاول أن تدقق النظر فى وجهه ٠

توقف عن مضغ الطعام فى فمه ٠٠ هتف :

ـ لم أفكر فى هذا ٠

ازدردت رشفة من الشاى الدافىء ٠٠ وقالت :

ـ حاولت أنا ٠٠ ولكنى لم أصل لشىء ٠

تخلص من مقعده ٠٠ راح يلقى نظـرة الى وجـه العملاق ٠٠ لبث طويلا عند النافذة :

ـ لم أر ملامح هذا الوجه من قبل ٠

عاد والتصق بالمقعد ٠

قالت :

ـ ولكنى أحس بشىء غــريب كلمــا حــدقت فى عينيه ٠

ـ لاتهتمى ٠

ثم واصل :

ـ كم بقى من أجازتنا ؟٠

ـ خمسة أيام ٠

وانغمسا فى فطورهما ٠

فى الظهيرة هتفت الزوجة :

ـ سأدخل لأغفو قليلا ٠

قال وهو لم يرفع عينيه عن سطور الجريدة :

ـ سأتصفح الجرائد ٠

انسحبت الى الداخل ٠٠ انسلت دفقة هواء رطبــة من النافذة المفتوحة ٠٠ انتعش وهش ذبابة ٠٠ سحب مقعدا ووضعه جوار النافذة ٠٠ ألقى بجسده مواجهــا صفحة السماء ٠٠ انتعش ٠٠ تصفح الجــريدة ٠٠ لم يجذب انتباهه عنوان ما ٠٠ طــوى الجــريدة ودفعها الى أقرب مقعد ٠٠ طوح برأسه فوق حافة المسند الخلفى ٠٠

استنشق الهواء الرطب •• قام ليسحب جريدة أخرى••
تصفحها •• تأفف •• ثم طوح بها تحت قدميه ••
همس :

ـ أكاذيب •

فكر فى أن يدس نفسه بين أحضان زوجته •• لم
يجد رغبة حقيقية •• والجو حار يزهق الأرواح •• أطل
من النافذة •• استنشق الهواء بعنف •• أحس بفتور••
عاد ليتناول جريدة أخرى •• مر بعينيه على العنوان
الضخم •• ازداد حنقه •• وسحقها تحت قدميه ••
ارتقى النافذة وأطلق عينيه ليجوبا الميدان الواسع ••
لمح الطائر يهز رأسه فى رتابة فوق كتف العملاق ••
تذكر كلمات زوجته فراح يحدق فى ملامح الوجه •• لم
يعرف هذه الملامح •• همس :

ـ ملامحه كسطور جرائدنا •

حاول أن ينسى العملاق •• حدق فى الميدان ••
لانسمه واحدة سوى حفيف الأشجار •• دون أن يدرى
ألفى نفسه يغرز فى ملامح العملاق عينيه •• سبح فى
قاع ذاكرته •• فى صباه •• لايذكر أنه رأى هذا
الوجه من قبل •• ولكنه لم يستطع أن يدع العملاق
وشأنه •• وتساءل ••

·· من أنت بحق الشيطان ؟!··

انتبه ·· لاحت شفتا العملاق لعينيه وكأنهما تنفرجان ·· رشقهما ·· كانت الشفتان الغليظتان تتحركان ·· تراجع الى الخلف وأغمض عينيه ·· سحقا لرؤاه ·· التقط الجريدة الملقاة على الأرض ·· تشاغل بسطورها ·· مزقها فجأة وقذف بها من النافذة ·· تناثرت قصاصات الجريدة فى الهواء حتى أخفت عن عينيه ملامح العملاق ·

* * *

قال لزوجته :

ــ علينا بتنظيم حياتنا على الأقل حتى نسدد كل ديوننا ·

فى قلق قالت الزوجة :

ــ سيوغل بنا العمر ·· فكيف نربى أولادنا ؟·

صاح فى حدة :

ــ يكفينا مالاقيناه من عناء ·· الشقة الجديدة · الأثاث ·· التليفزيون ·· الثلاجة ··

قاطعته فى حدة أيضا :

ــ مامعنى حياتنا دون أولاد ؟·

ـ صدقيني ·· سيربك حياتنا مولود جديد ·

قالت لتنبهه :

ـ بدأت الشعيرات البيضاء تزحف على فوديك ·

تفاقم استياؤه ·· نهضت فجأة :

ـ انتصف الليل ·· سأدخل لأنام ·

حين استدار لمح جانبا من وجه العملاق ·· استقر الاستياء في الأعماق ·· فكر في اغلاق النافذة ··ولكن حرارة الجو أطاحت بفكرته ·· بلا وعى اقترب من النافذة ·· عاد ليحدق في ملامح العملاق ·· ابتسم العملاق ·· انفطر شيء في داخله ·· حدق في شفتيه ·· اتسع انفراجهما ·· بدت كتلة الفراغ بينهما ككهف مظلم ·· لم يصدق عينيه ·· ولكنه تساءل علام يبتسم هذا الحجرى ·

بالقرب من النافذة رفرف الطائر ·· وحلق من جديد فقال لزوجته :

ـ راقبتها ·

تنبهت الزوجة فتساءلت :

ـ راقبت من ؟·

ـ ملامح العملاق ٠
ابتسمت ٠٠ قالت :
ـ هل عرفته ؟٠
ـ لم أصل لشيء ٠٠ لكن شيئا غريبا لفت نظرى ٠
صمت قليلا ثم استطرد :
ـ انه يبتسم لى ٠
رشقته بعينها فتهدل جفناه :
ـ ابتسم لك ؟!٠
ـ نعم ٠
جلجلت ضحكتها فصاح :
ـ انى صادق ٠
قالت الزوجة فى ضيق :
ـ يبدو أن خلاء المدينة الجديدة أتلف ذهنك ٠
قال فى ألم :
ـ كان يبتسم ٠

* * *

ـ لم بقى من أجازتنا ؟٠
ـ خمسة أيام ٠

تصور أنها ذكرت له الخمسة أيام من قبل ·· كيف لم يمر الوقت حتى الآن ·· ولكن أجـازته طالت ·· طالت ·· هـز منكبيه بلا احتفـال ·· واتجـه نحـو النافذة ···

هاهو ذا يحدق فى عينى دون أن يختلج جفناه ··

أحس أنه يود أن ينطق فهمس ليساعده ··

·· تكلم ·· من أنت ؟·· ومن ذلك الذى وضعك وحدك فى هذا الميدان الفسيح ؟·· ومن ··؟

تذكر أنه لم يلمح أحدا منذ انتقلا الى الشقة الجديدة فى الميدان الفسيح ·· ولم يلتق بأحـد أثناء هبـوطه السلالم ·· تحول الى زوجته ·· قال :

ــ ألم تلاحظى ؟·· عمارتنا لم يسكنها أحد غيرنا ·

قالت الزوجة وهى ترفو شيئا بين يديها :

ــ العمارة جديدة ·· والمدينة بعيدة ·

قال فى قلق :

ــ أسنظل وحيدين فى هذه المدينة ؟·

هزت زوجته كتفيها ·· همس ·· :

سأسئل حارس العمارة ·

في الصباح هبط السلالم .. طرق باب حجـرة الحارس .. تردد صدى طرقاته في دهليز العمارة .. صاح بصوت مشروخ .. لم يجبه أحد .. قال لزوجته :

ـ أين اختفى النوبى ؟.

قالت بلا اكتراث :

ـ ابحث عنه .

* * *

في عنف أغلق نافذة الصالة :

ـ أتود أن نموت اختناقا ؟.

ـ ألم ترينه ؟.. أصبح يضايقنا .

قالت :

ـ لاتهتم .. هلم نشاهد برامج التليفزيون .

قال في اشمئزاز :

ـ سئمتها .

قالت الزوجة وهى تنفخ الهواء :

ـ افتح النافذة أرجوك .. سنختنق .

حين فتح مصراعى النافذة أحس بأن وجه العملاق

قريبا جدا ·· يحس بأنفاسه الدافئة ·· غادر النافذة ·· قال لزوجته :

ـ سأدخل لأنام ·

قالت :

ـ برامج التليفزيون شيقة الليلة ·

من نافذة حجرة النوم لمح العملاق يحدق داخلها فقال له فى لين :

ـ ماذا تريد منى ؟ ·· ولماذا تدس أنفك دائما ؟! ·

لمحه يبتسم فاستشاط غضبا وأغلق فى وجهه مصراعى النافذة ·

حاول أن ينام وتفاهة برامج التليفزيون تتناهى اليه من الصالة وضحكات زوجته الصاخبة ·· وهناك من خلف مصراعى النافذة المغلقتين تتهادى اليه رفرفة جناحى الطائر ·· دس رأسه بين طيات الوسادة ·· لم يستطع النوم ·· قفز ليرتدى ثيابه ·· فى الصالة قال لزوجته :

ـ سأخرج لأستنشق الهواء ·

لكنها كانت سابحة فى تفاهات التليفزيون ٠
حينما فتحت الباب هلعت :
ــ ماهذا ؟!٠
قال وهو يدفع نفسه من فرجة الباب :
ــ ألا ترين ؟٠٠ كتبا ٠
رمى بها الى أرض الصالة وجلس يزدرد أنفاسه :
ــ ماذا ستصنع بها ؟٠
قال فى ضيق :
ــ لاشأن لك ٠

بين صفحات الكتب الصفراء قضى ليله ٠٠ قرأ تاريخ الجبرتى ورحلات ابن بطوطة وقصص السندباد البحرى والحملة الفرنسية ودخول الانجليز مصر ٠٠ ولكنه لم ير ملامحه قط ٠

تزايدت الكتب فى الصالة ٠٠ فى حجرة النوم ٠٠ فى حجرة المطبخ ٠٠ فى كل ركن ٠٠ قالت الزوجة :

ــ تكاثرت هذه الكتب التى تجلبها كل صباح ٠

لم ينبس ٠٠ قالت فى ضيق :

ـ انها تضـــايقنى ·· ماعدت أســتطيع التحــرك بحرية ·

رفرف الطائر ·· بحلق فى فراغ النافذة ·· لمح وجهه يقترب مبتسما فصاح :

ـ سأعرف من أنت ·· من تكون ·

ابتسم ·· لا ·· كان يضحك ·· هتفت الزوجة :

ـ أوشكت على الجنون ·

لم يع بوجـودها ·· لملم عثـار الكتب ·· التقط احداها وجلس ليقرأ ·· قالت الزوجة في غضب :

ـ سأغادر هذا البيت ·

لم يلتفت اليها وهى تصفق الباب خلفها ·

رآه الحارس النوبى وهو يهرول خارجا من العمارة وفوق كتفه فأس يلمع ·· فصاح خلفه :

ـ ياأستاذ ·· ماذا تفعل ؟·

لم يعره التفاتا ·· صوب العملاق يمم طريقه ·· وبكل قوته غرز فى الحجر الصلد فأسه وأخذ يضرب ··

يضرب .. تناثرت الأتربة هنا وهناك .. كان التمثال الحجرى صلدا .. صرخ الحارس النوبى :

ـ أيها الأحمق .. ماذا تفعل بربك ؟!.

ضرب .. ضرب .. دخل فى عينيه نثار الحجر الصلد .. لم يهتم .. كان يرى ابتسامة العملاق .. تتسع .. تتسع .. وتجلجل ضحكته الغريبة فى فضاء الميدان الشاسع ...

عــويل البحر

نحو الأفق دفع القارب بيدين ثابتتين ٠٠ لم ترتجفا ٠٠ تشبث بحافة القارب المنساب فى تأرجح فوق صفحة الماء الرقراقة فى تناغم غريب ٠٠ بمهارة لم ألحظها من قبل ٠٠ قفز فوق القارب ورفع المجداف الخشبى ٠٠ غرز بحافته صدر الماء المترقرق ٠٠ انساب القارب فى ليونة محفــوفا بزبد الموج المرتد عن القــارب حين يصطك بجوانبه الحمراء اللون ٠

وعندما استدار القارب مع الريح الشرقى انعكس اللون الأحمر فوق سطح الموج المتموج ٠٠ تشرب الماء اللون الأحمر ٠٠ وبدت من بعيد دكنة السطح فى مواضع ٠٠ بينما تخللت الزرقة الباهتة صفحة البحر فى خيوط ثعبانية نحو الأفق ٠٠ وكان صمت غــريب يخيم فوق رأسينا ٠٠ تتهادى خفقــات الموج المرتد عن جــوانب

نشرت فى مجلة أكتوبر العدد ٢٠١ ـ ١٩٨٠ ٠

القارب فتنساب ارتعاشة داخلى يرتعـد لهـا قلبى ٠٠
وشـملنى رعب قاتل ٠٠ كل شىء خـامد حتى رفرفة
أجنحة طيور النورس التى راحت تحلق فى الفضاء من
حولنا بدت كوجيب قلب ٠٠ كنت أعرف الى أين يتجه
بى ٠٠ خلف صخور الفنار ٠٠ هنـاك حيث الوحشـة
الوحشة القاتلة ٠٠ وصخب المياه الغريبة عندما تندفع
فى رعونة نحو الحاجز الصخرى ٠٠ هناك دائمـا كان
محط قاربنا ٠٠ نقضى النهـار وجـزءا كبيرا من الليل
نسعى خلف أسراب السمك ٠

خلف الفنار علمته كيف يلقى بالشباك ٠٠ لم يكن
صبورا فبثثت فى قلبه صبرا لا حد له ٠٠ كان يحلو لى
أن أرقبه وهو يراقب بعينين خبيرتين قطع الفلين العائمة
فوق الماء ٠٠ تأملت وجهه وهو يجدف بذراعيه المفتولين
٠٠ كان كوجه البحر ٠٠ لا قرار له ٠٠ كنت لا أصدق
أن تنالنى يداه بشر ٠٠ حتى تلك التعابير الوليدة انمحت
من فوق تقاسيم وجهـه ٠٠ أحسست أن بركانا ثائرا
يمور فى داخله ٠٠ رنوت اليه فدفن عينيه فى جـوف
البحر وراح يدفع بمجدافيه فى دورات متتالية ٠

هل هى حقـا النهـاية ؟٠٠ أو أنك ستنكص على
عقبيك ؟٠٠ ساعتها سأضمك الى صدرى وسأجعلك ترث

كل شيء ٠٠ القارب ٠٠ شباكى ٠٠ حتى أرضى التى أقمت عليها عالمى الصغير قبل أن أراك ٠٠ أتذكر يوم أن عثرت عليك ٠٠ كنت هائما فـوق رمال الشـاطىء وعبرات عالقة بأهدابك ٠٠ وجسدك ينتفض من البرد ٠٠ أتذكر يوم جلست الى جوارى وقصصت على هروبك من قسوة أبيك ٠٠ لم يكن لى ولد فاتخـذتك ولدا ٠٠ جرينا فوق الرمال ٠٠ رددت الريح صدى ضحكاتنا ٠٠ أحببتك ٠٠ وتفانيت فى خدمتى حينما دبت الشيخوخة فى ذراعى ٠٠

همس فجأة :

ـ اشتد المد ٠

منذ شروق الشمس لم ينبث بكلمة واحدة ٠٠ لم نتخاطب ٠٠ كان يهـرب بعينيه بعيـدا عن عينى ٠٠ ويتشاغل بآتفه الأمور ٠٠ آكنت لاتستطيع مواجهتى ٠٠ أكنت تعرف أننى منذ تلك الليلة الغابرة أدركت كنـه الأمر ٠٠ أم أنك كنت تقاوم شيطانا يخربش داخلك ٠٠ رغم كل شيء اعتليت ظهر القـارب معك ٠٠ وتركتك تتجه حيث تشاء ٠٠ لم يكن يعنينى المكان ٠٠ كل ماكان يعنينى أن رى ثمرة يدى تتعلق بفرعها فى استماتة ٠٠ وتخيب كل ظنونى ٠٠ أتنتصر على فى النهاية ؟٠٠ أم

أن تلك البذرة التى وضعتها فى صــدرك وأنت غض صغير ستنتصر عليك ؟٠٠ أود من شغاف قلبى أن يحدث هذا ٠٠ ونعود الى الشاطىء كل منا يحتضن الآخر ٠٠ أم ترى تعود ويداك مخضبتان بدمائى ؟٠٠ لن أقاومك ٠٠ سأكون عــونا لك ٠٠ سأعطيك ظهــرى كلما تحين فرصتك لطعنى فى الظهر ٠٠ وليكن مايكون ٠٠ ماذا بعد أن أرى صنع يدى يتمرد على فى نهــاية أيامى ٠٠ ماذا يبقينى حيا بعد كل هذا العمر المديد وقد فقدتك فى هذه الرحلة ٠٠ نعم سأفتقدك وربما تفتقدنى أنت أيضا وقد تتعزى على وتذكر تلك الأيام الزاخرة بيننا ٠٠ لاتلومنى فى النهاية ٠٠ ولاتتخذ من جرمى الأخير ذريعة لفعلتك التى أتوقعها من وقت لآخر ٠٠ ستقول انك جلبت لنا فى نهاية العمر شيطانا ٠٠ لكننى أذكرك بأنــك أحببت ذلك الشــيطان وأنا لا أمحى عن نفسى جريرتى ٠٠ لقد ضعفت ٠٠ وأنت أيضا كنت ضعيفا ٠٠ منذ صغرك ٠٠ هروبك من أبيك كان ضعفا كبيرا ٠٠ والآن أنت تمارس ضعفك القديم نحوى ٠٠

قال مرة أخرى :

ــ خف المد قليلا ٠

وجهك كمرآة ناصعة البياض لاينعكس عليها داخلك

الذى أشفق عليك منه ·· بل تنعكس تعــابير الألم على
وجهى ·· آتراك تحس بما آشعر به أم أن ستارا أسود
اللون أسدل على عينيك وقلبك ؟ ·· انها هى ·· لقد
سمعتكما ·· قالت لك فى بساطة ·· علينا بالتخلص
منه ·· ورددت أنت بصوت كرجع الصدى نتخلص منه
·· تلونت نبرات صوتك بشىء غريب لم آلفه من قبل
·· كيف جرؤت على قول هذا ؟·· ولكنى رغم ماسمعت
لا أصدق أن ترتفع يداك للتخلص منى ·· انهــا لحظة
العماء جعلتك تردد كالببغاء قولها ·· أما هى فلم تكن
تعنينى فى شىء ·· أنت الذى تعنينى وأود أن يكون كل
هذا أضغاث أحلام ·· جذبتك من صدرى هذه الملعونة
وأنا لا ألقى عليك عاقبة ذلك ·· بل أنا الملام ·· كيف
بعد ذلك العمر أتخذ من صبية زوجة لى ؟·· كنت تحاول
أن تسعدنى بالتفانى فى خدمتها ·· وكان يسعدنى ذلك
حقا ·· ولكنها أسرتك فى النهاية كعروس البحر ··
فسرت خلفها مغمض العينين الى هلاكك ·· ألم أقص لك
حكايات عروس البحر التى تخطف الرجال من فوق ظهور
القوارب ·· ولكنك لم ترع كلامى ·· خطفتك الملعونة
·· ستهلكك ·· وفى النهاية سيكون هلاكى ·· ولكنه

الاصرار والأيام الدافئة بيننا تحثنى على مواصلة التجربة حتى النهاية ٠

قال فى صوت ثابت :

ــ اشتد المد مرة أخرى ٠

ند عن طيور النــورس التى كانت تتــابع قاربنا صوتا كالنعيق ٠٠ ارتجف قلبى وصحت فى قرارة نفسى ٠٠ هل جننت ؟٠٠ تذهب الى الموت بقدميك طائعا ٠٠ فى أية لحظة قد يرديك قتيلا ٠٠ ويتركك نهبا لأسماك البحر والطيور التى تحلق فوق رأسينا ٠٠ همست فى غضب ٠٠ لايعنينى الموت فى شىء ٠٠ فليكن مايكون ٠٠ ولكنى أود آن أعرف هل يستطيع آن يرفع يده ليدس مديته فى جسدى ٠٠ هل سيقدر على هــذا أو تخــونه يداه ٠٠ هل سيرتسم على وجهه تعبير واحد يرثينى به ان فعل هذا فحسبى أنه يشعر بالرثاء لى ٠

بدت قمة الفنار البراقة فهمست فى ألم ٠٠ انها النهاية ٠٠ وكان الحــاجز الصــخرى يربض فى الخلف كحاجز من الوهــم ٠٠ وكانت الموجات العــاتية ترتطم بصخوره الناتئة ٠٠ تحاول أن تجد لها منفذا نحو الميناء ٠٠ وغــابت الشمس خلف الحــاجز الصخرى فانتشرت غلالة من الظلال الباهتة على كل شىء ٠٠ واغتمت صفحة

الماء فبـدت داكنـة وقد انسحبت الزرقة الباهتة وراء ظهرينا •• وجلست عى حافة القارب لا آريم •• أنتظر النهاية المحتومة •• وقد تمثلت لى الذكرى كحلم كابوسى فظيع •• وحينما اقتربنا من الحاجز الصـخرى تناول الخطاف وألقى به فى جوف الماء ••

هتف من جديد :

ـ لعل المد يهدأ قليلا عند الغروب •

ماذاتنتظر حتى الآن •• كان من الممكن أن تفاجئنى بنصلك الحاد •• ونحن قد ابتعـدنا كثيرا عن الشاطىء •• كل شىء من حولك يمهد لك الطريق •• ولكن •• ترى هل شعرت بجرم ماتقدم عليه •• وانتابتنى رعشة فرح •• أخـيرا قد انتصرت على نفسـك •• كم أحبك الآن •• أنظر الى تلك الطيور الناصعة البياض ترفرف فرحا من أجلى •• بل من أجلك •• سيكون صيدنا وفيرا •• سيباركك الله •• وستدعو لك أيامنا الجميلة معـا بالفلاح •• لماذا تشيح بوجهك عنى •• أريد أن أحدق فى عينيك طويلا •• تلك العينان الدافئتا النظرة •• ولكن وجهك مازال على وضعه الغريب منذ غادرنا البيت •• وسكونك يثير داخلى ألما ممضا •• تكلم •• لا تصمت هكذا •• بودى أن أصارحك بأننى أعرف مقدما كل

خطـواتك ‥ وأنني قد رأيتك مـع زوجتي الصـبية تتعانقان ‥ هل تعلم أنني على اسـتعداد أن أغفر لك دائما حتي وان أغمدت في جسدى نصلك الحاد ٠

حينما ألقى بفتات الخبز فوق سطح الماء كي يجذب الأسماك الجائعة نحو السـطح فتقع فى الشـباك أسيرة حدجني في جفاء ‥ رأيت نظرته الجديدة تماما ‥ لست ذلك الصبى الذى صنعته بيدى هاتين ‥ أمازلت تضمر شرا ‥ اذن فلننته من الأمر ‥ سأعطيك ظهرى وأتظاهر بأنني منهمك فى مراقبة الشباك التى نشرتها فوق الماء ‥ فلتتحين الفرصة ‥ سأغمض عيني قليلا ‥ هأنذا أهبك فرصة أن تغمد نصلك دون أن تنظر الى عيني فترتبك ‥ أريد نكوصك خالصا من نفسك ‥ أعرف أنك الآن تتقاذفك أهواء كثيرة ‥ ولك أن تختار طريقك وحـدك ‥ دفنت وجهى فى المـاء فتصاعدت رائحة البحر والطحالب الخضراء ‥ وكنت أترقب ذلك النصـل ‥ لكنك تزيدني عـذابا ‥ أقبـل من خلف ظهرى ‥ أريد أن أنتهى أيا كانت النهاية ‥ أحسست وكأن نصله الحاد ينغرس في قلبي ‥ ولكنني أشعر بكل حـركة تأتيها من خلف ظهـرى ‥ لاأدرى كيف أظلم المكان وأين اختفى بريق النهار ‥

سمعته يهمس :

ـ هل نعود ؟ ٠

جذبنا الشباك ٠٠ نفض عن خيوطها رذاذ الماء ٠٠ ونشر فى قاع القارب صيد الغروب ٠٠ لاأدرى ٠٠ كنت فرحا ٠٠ هانحن نتجه نحو الشاطىء ٠٠ أحسست بالاطمئنان ٠٠ قلت فى مودة :

ـ رحلة طيبة ٠

أومأ لى برأسه ٠٠ كان القمر يضىء المكان من حولنا ٠٠ ويبث فى قلبى بنوره الفضى اطمئنانا ٠٠ وبدت دفعات يديه للمجدافين بطيئة ٠٠ هل نال منك التعب ٠٠ نهضت واقفا ٠٠ قلت له :

ـ فلنبدل مكانينا ٠٠ ناولنى المجدافين ٠

وتحركت نحوه فى اطمئنان ٠٠ ناولنى المجدافين ٠٠ وحين تحرك ليحل مكانى الآخر ٠٠ احتك جسدانا ٠٠ لا أدرى هل دفعنى هو أو اختل توازنى ٠٠ وجدت نفسى مدفوعا نحو الماء ٠٠ كان الماء باردا ٠٠ وحينما تمالكت رباط جأشى ويممت نحو حافة القارب ٠٠ هالنى ذلك الشبح المتجمد ٠٠ كانت يداه ترفعان بالمجداف الى أعلى ٠٠ شل تفكيرى ٠٠ أحسست بالتجمد ٠٠ وكانت

ضربته محكمة فوق رأسى ·· التعت ·· ماكنت أصدق أن يحدث هذا ·· هــل جــرؤت أخيرا ·· هل طاوعك قلبك ؟ ·· وهاهى ضربة آخرى ·· تهوى فوق رأسى ·· فأغوص تحت ســطح المــاء فتلمس قــدماى الطحالب السابحة ·· رأيته يبكى ·· أخذته فى حضنى ·· ربت على رأسه فى حنان ·· كنت وحيدا وفى حاجة الى والد يعيننى على تلك الحياة القاسية ·· ماتت زوجتى دون أن تخلف لى نسلا من صلبى ووجدت فيك عوضا ·· اضرب ·· لاتجعل ضرباتك تطيش ·· هأنذا أرفع رأسى فوق سطح الماء لتعاود ضرباتك المحكمة ·· ياالجبنك أمازلت تشيح بوجهك بعيدا ·· ألا تجرؤ آن ترانى آموت غرقا تحت وابل ضرباتك ·· هل ظننت أننى سأقاومك ·· ويفتضح أمرك أمامى ·· لا رغبة لى فى الحياة فلتعاود الضرب ·· هأنذا أغــوص فى المــاء ·· أغــوص ·· سأغوص حتى أختفى عن عينيك ·· سأغوص فى القاع ·· فكيف لى أن أتشبث بحياتى وأنا لم آلمح تحت ضوء القمر نظرة رثاء واحدة تظلل عينيك ·· سأغوص ·· وسألفظ أنفاسى ·· فلتهنأ ···

فى وجه الريح

قالوا فى الصباح :

– رأينا ولدك فى طرقات المدينة ·· أطلق لحيته حتى صدره ·· وعيناه حمراوان يتطاير منهما الشرر ·

قالت فى صوت مرتعب :

– هل خرج ؟·

قالوا :

– يقولون أنه خرج أمس ·

زامت الريح فى الخارج ·· احتكت بالنوافذ ·· حاولت أن تنفذ من خصاص النافذة الضيق ·· جابهها سطح الزجاج الأملس ·· فصفرت وعادت لتفر الى الخارج من جديد ··

اثر كل لطمة للهواء الثائر ينخلع قلبها ·· وتصورت آلاف الأيدى تطرق بابها الخشبى المتداعى ··

جريدة الجمهورية ١٩٨١/٢/٥ ·

تريد أن تجتثه ·· تلقيه فى وجه الريح فتحمله الى بعيد ·· بعيد ·· ثم مضت على ساقيها المتخاذلتين ·· تحسست مزلاج الباب الحديدى ·· اطمأنت على وضع لسان المزلاج · فى بطن السقاطة ·· وهمست لنفسها :

ـ لن تقوى تلك الرياح على نزع باب الحجرة ··

ولكنها رأت يده الغليظة تنسحب فوق الجدران ·· تهاوى قلبها ورأت الريح تأخذ بابها وتطير ·· به الى السماء ·· تطوحه هنا وهناك ·· ورأته يشغل فراغ الباب المنزوع بقامته المديدة ·· ولحيته تطول ·· وتطول ··

لم تر فى عينيه الحمراوين عينى ولدها ·· بل عينين تجمدت فيهما المعانى ·· انهما عينا ميت ·· تراجعت مذعورة ·· احتمت بالجدران العارية ·· احتمت بقطع الأثاث ·· وكان ظله يمتد فوق كل شىء ·· يمتد فوق جسدها الشائخ ·· غطت وجهها براحتيها :

ماذا تريد أن تصنعه بنا أكثر من ذلك ؟·· مات أبوك ·· لفظك قبل مماته ·· وهمت فى طرقات المدينة ·· لسنا نملك شيئا لابن جحد والديه ·

ودوت فى الحجرة طرقعة شديدة فرمت بعينيها الى الباب المغلق بالمزلاج ٠٠ كان يهتز ٠٠ الريح التى تدور فى الدهليز المظلم ترجه فى عنف ٠٠ صمد الباب المتداعى ٠٠ عاد اطمئنانها الى قلبها ٠٠ نهضت وأشعلت المصباح على الحائط فانتشر الضوء ٠٠ همست :

ان لم يأت الليلة فسيجىء فى الصباح ٠٠ سأطرده ٠٠ لن أجعله يطأ حجرتى أبدا ٠٠ لن يجد مكانا يؤويه فيعود الى ٠٠ سأبصق على وجهه ٠٠ وان امتدت يداه اليك كما كان يفعل مع أبيه ربما يقتلك لمعارضته ٠٠ لايحب أحد يعارضه ٠٠ مات أبوه من الحسرة ٠٠ عادت الريح تطرق الباب والنافذة العالية ٠٠ قامت تحمل بيدها المهتزة المصباح ٠٠ تراقصت الذباله ٠٠ تحسست المزلاج من جديد ٠٠ ألصقت أذنيها بسطح الباب الخشبى ٠٠ أرهفت السمع ٠٠ كانت الريح تزوم فى أركان الدهليز ٠٠ حاولت آن تستشف من أصوات الريح الثائرة وقع حذائيه على الأرض ٠

لن يجد ركنا يؤويه ٠٠ سيطرق بابى فى أية لحظة ٠٠ سأصفعه على وجهه وأطرده ٠٠ لن يدخل حجرتى هذا العاق ٠

عوت الريح فى الخارج ·· اهتزت ذبالة الضوء ·· ارتجفت ··

كيف يمكنك مقاومته وحدك ؟· لم يستطع أبوه ذلك ·· دفن آلامه فى قلبه حتى انفجر · وأتى مع رفيف الريح الى صوت يثقب أذنيها ·· لم ننجب ولدا ·· هذا ابن شيطان لاتأمنى جانبه ·

وحين ألقت بجسدها الذى أنهكته السنوات العديدة تلمست دفء جسده فى الفراش ·· فانشرح شىء ما فى صدرها ·

فى كل قطعة أثاث تشعر بلمسات يديه الحانية ·· كم من المرات جلس الى جوار النافذة يقص عليها ماضيه الشاق ·· كم كان يتمنى أن يهب الله لهما ولدا ليكون ذخيرتهما فى أيام العناء والشيخوخة ·· قال لو وهبنى الله ولدا سأشعل الشموع لضريح سيدى أبو شوشه ·

ولمحت بعينين كابيتين المقعد الأثير لديه تحت النافذة ·· ومقدمته تواجه النافذة بنفس الزاوية التى كان يحب أن يكون عليها ليتطلع الى السماء ·

ارتعشت مقلتاها وذرفتا دمعتين دافئتين ·· وعندما تشتعل الحجرة بحرارة الصيف يرتدى جلبابه الأبيض

الخفيف ويلقى بجسده فوق الأريكة لعله يتلقى نسمات الهواء المنسلة من النافذة الوحيدة ·

استلقت بظهرها فوق الفراش ·· مدت يدها لتخفض الضوء ·· عم ظلام تخللته أشعة الذبالة المحتضرة الأنفاس ·· حاولت أن تغلق عينيها وتستسلم للنوم ·· كانت الريح فى الخارج شديدة ·· فجفاها النوم حتى الصباح ·

لم تكن طرقات الريح على الباب تلك التى دوت فى الحجرة ·· نهضت فى فزع وسحبت جسدها حتى الباب ·· ترددت أمامه ·· هل تفتحه أم تدعه مغلقا فى وجهه ·· ربما تكون هذه طرقات الريح حقيقة ·

وبدا النهار واضحا من خصاص النافذة ·· انه الصباح ·· تراجعت مذعورة الى الوراء ·· صدق حدسها ·· عادت الطرقات تدوى من جديد ·· أسقط فى يدها ·· ارتجفت ·· اشتدت الطرقات فى هلع ·· ارتمت فوق الباب بثقلها ·· خافت أن تقتلع يداه الباب ·· دوت فى أذنيها صدى الطرقات ·· دون أن تشعر سحبت لسان المزلاج ·

أصدر صوتا وهو يعود القهقرى فى تخاذل الى

الوراء ٠٠ كفت الطرقات ٠٠ ابتعدت عن الباب ٠٠ امتدت يده من الخارج ودفعته ٠٠ أز البـــاب فى عنف وكأنه يقاوم يده ٠٠ رأت عينيه ٠٠ نفس العينين اللتين رأتهما ليلة البارحة ٠٠ عينا ميت ٠٠

رفع قدمه ودخل الحجرة ٠٠ لم يتوقع أن تستقبله بحفاوة ٠٠ ولم تتوقع أن يأخذها فى صدره ٠٠ أفسحت له الطريق ٠٠ وقف فى منتصف الحجرة ٠٠ دارت عيناه ٠٠ وفى بطء اتجه نحو المقعد الموضوع تحت النافذة ٠٠ لم يشأ أن يزحزحه عن وضعه القديم ٠٠ تأمله ورمى بجسده المنهمك فوقه ٠٠ مد ساقيه فى ارتخاء الى الأمام وتنهد ٠٠ سمعها تهمس فى صوت لم تستطع أن تمنع خوفها من تلمس نبراته :

ــ ماذا أتى بك الى هنا ؟٠

تنهد من جديد ٠٠ لم ينبس ٠٠

عاودت تقول مرة أخرى :

ــ ماذا أتى بك الى هنا ؟٠

قال بصوت مشروخ :

ــ تضورت جوعا فى طرقات المدينة ٠

قالت وهى تجلس الى حافة الفراش :

ـ هل تصورت أن تجد عندى شيئا تأكله ؟٠

رسم ابتسامة مقيتة على شفتيه وقال :

ـ أنت أمى ٠٠ وأنت أرحم الناس بى ٠

لوحت بيدها :

ـ هراء ٠

بلع لسانه وصمت ٠٠ قالت :

ـ لا أريدك أن تأتى الى هنا مرة أخرى ٠

قال :

ـ هذا بيتى ٠

صاحت :

ـ لم يعد لك بيت ٠٠ لقد هدمته من قبل ٠

تثاءب ٠٠ كان لتثاؤبه صوت أرعد أوصالها ٠٠
قال :

ـ لم أنم منذ يومين ٠

قالت بحدة :

ـ ابحث عن مكان آخر يؤويك ٠

عاود يقول :

ـ أنام فى بيتى ٠

لوحت بذراعها :

ـ لاتقل مرة أخرى بيتك .. لقــد حــاولت أن تهدمه .

ثم قالت وكأنهــا لم تنتبه بعــد الى جلوســه فوق المقعد :

ـ انهض لاتجلس فوقه .

قال :

ـ كنت أنام فوق الأرصفة .

قالت :

ـ هذا بيتك الحقيقى .

ودون أن يفوه بكلمة آخرى .. نهض نحو الأريكة .. تمدد فوقها .. جذب ملاءة قديمة طوى بها جسده .. رمقته فى حدة .. ولم تملك شيئا سوى أن أجهشت ببكاء مرير .

على عتبة الدهليز جلس ليدخن سيجارة فى صوت مرذول .. لم تكن تعــرف من آين يأتى بالســجائر .. كانت تخاف جلوسه فى صمت .. يفكر فى شىء ما .. وكانت ترقبــه دون أن يــدرى .. تخشى كل خطــوة

يخطوها .. يظل جالسا وقتـا طـويلا ينفث الدخان ويحدق فى الفراغ ..

قال لها هذا الصباح وهو ينظر الى لاشىء :

ـ أريد مالا .

ـ هذا آخر ماكنت أتصور .. أبوك مات فقيرا .

صمت قليلا .. قال :

ـ كيف مات أبى ؟.

قالت فى حدة :

ـ مات وهو يدعو عليك .

ـ لم يخلف شيئا ؟.

ـ لم يخلف الا ابن مثلك .

ـ أنا لى الحق فى كل شىء تركه لك .

قال فى برودته المعهودة .

جزعت .. أحست أن يدا غليظة تعصر قلبها :

ـ لاحـق لك فى شىء .. مات آبـوك وهـو ناقم عليك .

رنا اليها .. وعاد لينفث دخان سيجارته فى صمته المرذول .

هدأت الريح فى الخــارج ·· لم يكن موجــودا فى حجرتها ·· تنفست الصعداء ·· وضعت لسان المزلاج فى بطن السقاطة ·· أحست بالاطمئنان ·· كم كان يحلو لها بقاءها وحيدة بين الأثاث القديم ·· هنا كان ينام الى جوارها ·· وهناك الى جــوار النــافذة يجلس ليحسو قهوته ·· وشىء غريب يظلل عينيه ·· حــزن دفين ·· كان يهمس لها دائما ·· لقد ضاع العمر هباء منثورا ·· ثم يصــيح كأن على عاتقــه أثقــالا يرزخ تحتها :

ـ لسنا أكثر من قطع الأثاث ·· تبلى بمرور الزمن ·· وتهدم كل شىء ·

أحبت كل قطعة أثاث فى الحجرة ·· أحست ماضيها المدسوس بين خلاياها ·· فى خيوط السجاد المهترئة ·· وفى مسام خشب الأثاث ·· فى كل شىء تلمسه بأصابعه الحانية ·· انتبهت على طرقته فوق البــاب ·· تهــاوى قلبها فى صدرها الشائخ ·· ترقرقت دمعة فى عينيها ·· تقدمت من الباب ·· صر تحت دفع يديه ·· جلست الى حافة الفراش ·· نظر اليها ·

اتجه الى المقعد الذى ظل على وضــعه القــديم ·· أشعل سيجارة ·· راح ينفث الدخان فى صمت ·· رأت

فى عينيه شيئا جديدا ٠٠ هلعت وتدافع دم مرتعب الى رأسها وسقطت ٠٠

راحت ترقب كل حركة يأتيها ٠٠ الدخان يلتف حول رأسه ٠٠ يتلوى فى الفراغ ٠٠ نفث حبائل طويلة من الدخان ٠٠ قال وهـو ينظر الى خصـاص النـافذة المغلق :

ـ أريد مالا ٠

قالت دون أن يبرحها هلعها :

ـ أبوك مات فقيرا ٠

أدار وجهه اليها ٠٠ قال :

ـ أنا فى حاجة ماسة الى المال ٠

قالت :

ـ لم يترك لى أبوك شيئا ٠

صرخ فى فراغ الحجرة ٠٠ فتبددت حبائل الدخان :

ـ كاذبة ٠

بحلقت فى عينيه بعينين تجمدتا رعبا ٠٠ قال :

ـ أنت دائما تكذبين ٠٠ لماذا تريدين الاستيلاء على حقى ؟٠

قالت :

ـ ليس من حقك شيء هنا ·· ولست أملك مالا ·

قال :

ـ أنا أريد مالا وليأت من أى شيء ·

توجست خيفة ·· قالت بصوت مرتجف :

ـ ماذا تقصد ؟·

قال بلا حياء :

ـ أنا لى نصف هذا الأثاث ·· وقد يأتى المال ··

صعقت ·· حاولت أن تنهض لتغرز فى وجهه أظافرها :

ـ أجننت ؟·

قال :

ـ أنا لا أطلب أكثر من حقى ·

قالت :

ـ هل تجرؤ على تركى فى خواء ؟·

قال بحدة :

ـ وهل تسعدين ببقائى جائعا ·

صاحت فى غضب :

ـ ماكنت أريـد ن أطـردك ٠٠ ولكنـك دفعتنى لطردك ٠

جعد مابين حاجبيه وانحط فوق المقعد ٠٠ فى هذه المرة زحزحه عن وضعه القديم ليواجهها فى حدة :

ـ لن أخرج الا وقد نلت حقى ٠

صرخت :

ـ لا حق لك ٠

صاح فى كمد :

ـ لاتصرخى فى وجهى ٠٠ لى مالك فى هذا الأثاث٠

قالت :

ـ ليس لك شىء ٠٠ أنت لاتفهم ٠

ـ لا أريد أن آخذ شيئا عنوة ٠

قالت :

ـ اخرج من هنا لن تأخذ شيئا ٠

فى لمح البصر نهض من فـوق المقعـد فى غضب هائل ٠٠ وخطف المقعد بيده ٠٠ وعلى امتـداد ذراعه طوحه فى فراغ الحجرة ليصطدم بالدولاب ٠

تداعى المقعد ٠٠ سقط نثارا على أرض الحجرة

.. التــاعت .. التهب رأسها .. غامت الاشـياء فى عينيها ..

طات لحيته .. التفت حول عنقها .. ضاقت على عنقها أكثر .. ضغطت .. رفعت يديها فى الهواء .. تختنق .. حاولت أن تنبس .. أظلمت الحجرة ..

كانت عيناه الميتتان ترنوان اليها .. تصدع شىء ما فى صدرها .. تسقط .. تهبط فى قاع مظلم .. حـاولت أن تهمس .. أظلمت الحجـــرة فى عينيهـا فجأة ..

وهوت ..

وكانت الريح فى الخارج خامدة ...

الفــأر

فجأة لمحته بالقرب من دواسة المكتب ·· استدار في بطء ·· وهــو يرفع منخاريه ليتشــمم الهواء ·· وقف أمام صف الدوسيهات الموضوعة بعناية فائقــة داخل الرف الأسفل لدولاب قصير القامة يمين المكتب ·· التفت الى الخلف ·· وقعت عيناه الزئبقيتان على عينى ·· ارتعشت عيناى ·· لم تطرف عيناه ·· عاد ورفع أنفه المدبب ليتشمم الهــواء من جــديد ·· وقع بعض الضوء المنسرب من النافذة الخلفية على الشعيرات الرمادية النامية فوق جانبى فمــه ·· التمعت وشقت الهواء فى تحد ·· أحسست بالغيظ وتساءلت من أى مكان أتى هذا الفأر ·· هذه هى المرة الأولى التى ألمح فيهــا فأرا فى مكتب رئيس الجريدة ·· قررت أن أبذل قصارى جهدى فى ايقاعه داخل مصيدة ·· وعدت أتساءل ·· من أين تأتى المصــيدة ·· لمحته يلعق طرف أقرب دوسيه الى فمه ·· بدت أسنانه الحادة وهو يرفع شــفتيه ليقضم طرف

مجلة القصة العدد ٣٢ ابريل ١٩٨٢ ·

الدوسيه كمخالب قط ·· هذه مصيبة أخرى حلت فى الجريدة ··· قفزت فجأة من فوق مكتبى دون أن أمنحه فرصة للفــرار ·· كان أسرع منى ·· قفز فوق مكتب رئيسى فى العمل ·· بعثر بعض أوراق موضوعة بعناية فائقة على المكتب ·· ركبنى غيظ كبير ·· قلت لنفسى ·· لابد أن أصــطاده والا ابتلع كل التقارير والأبحاث والموضوعات ·· نظر الى ·· كان فى نظرته عتاب ما ·· لعله أدرك ماتحتويه عينــاى من كمد دفين ·· سأقتلك مهما كلفنى الأمر ·· وقلت لنفسى ·· لابد أن أتخلص منه فورا قبل حضور رئيسى فى العمل والذى يأتى دائما فى منتصف النهار ·· زحفت على ركبتى فى بطء شديد ·· حاولت أن ألتف من الخلف لأباغته ·· أبصرت ذيله يتدلى من حافة المكتب ··· تراقص الذيل ·· استدار برأسه نحوى ·· لم يتحرك ·· أغاظنى عدم اهتمامه بى ·· وقلت لعلها فرصة لقتله أو اصطياده ·· حين رفعت يدى لأهوى فوق رأسه بدواسة المكتب ·· طار فى سرعة وحط على حافة النافذة ·· سقطت الشمس على جسده ·· هالنى مافى جسده من سمنة ·· أدركت أن هذا الفأر كان موجودا هنا منذ زمن طويل ·· أو أنه جــاء من الأرشيف ليقبع ضــيفا فى مكتب رئيسى فى

العمل ٠٠ وحين هممت بالنهوض رأيت الفأر يفتح فمه ٠٠ رمقنى فى حدة ثم أخرج لسانه ٠٠ انتابنى هلع ٠٠ بدأت أنكمش وغيرت رأيى عن فكرة اصطياده أو قتله ٠٠ هذا فأر مخيف ٠٠ قلت لنفسى ربما يخرج من النافذة دون جلبة أو صـوت ٠٠ وتمنيت ذلك بل اننى رحت أغمغم ببعض التمنيات والآيات حتى يزيح الله هـذا الفأر من المكتب ٠٠ فربما يحضر رئيسى فى العمل فى أية لحظة ٠٠ وقلت للفأر : اذهب أرجوك ٠٠ لن أصيبك بأذى ٠٠ أخرج ٠

هالتنى ضـحكة تهادت من خلف ظهـرى ٠٠ كان زميلى فى المكتب ٠٠ قلت له :

ـ ما الذى يضحكك ؟٠

ـ ماذا تفعل بربك على الأرض ؟٠

قلت وأنا أحاول أن يكون صوتى خافتا :

ـ ألا تراه ؟٠

قال ومازالت ابتسامته متسعة :

ـ ماذا أرى؟٠

ـ الفأر ٠

أشرت الى النافذة ٠٠ صاح وعــلامة دهشــة كبيرة تشكل قسماته :

ــ أى فأر ؟٠

ــ ذلك ٠

جلجلت ضحته من جديد ٠٠

ــ أسكت ستجعله يعود للمكتب ٠

عاد الفأر يخرج لسانه ٠٠ قال زميلى :

ــ انهض ٠٠ لاتكن أبلها ٠٠ لايوجد فأر ٠

فى لمح البصر قفز الفأر ٠٠ واختبأ بين الدوسيهات ٠٠ صحت فى هلع :

ــ ألم تره ؟٠٠ دخل بين الدوسيهات ٠

قال :

ــ كيف ترى فأرا لا أراه ؟!٠

قلت فى هلع شديد :

ــ ألم تر الفأر حقا ؟٠

قال :

ــ كيف يصل فأر الى هذا المكان ؟٠

فكرت قليلا ٠٠ قلت :

ـ حقا كيف يدخل فأر الى المكتب ٠

هتف :

ـ رتب المكتب حالا ٠٠ فانى أسمع صوت الأستاذ ٠

وأنا أرتشف كوب الليمون وأرمى بعينى الى البحر الشاسع ٠٠ قال زميلى فى المكتب :

ـ لماذا تركب رأسك ؟٠

وضعت الكوب فوق المنضده برفق ٠٠ قلت :

ـ أنا لاأركب رأسى ٠٠ هذه طبيعتى ٠

قال فى حدة :

ـ أكتب أى شىء ٠

قلت فى حدة أشد :

ـ لاأستطيع أن أكتب أى شىء ٠

ـ أنت تسىء عـــلاقتك بالآخـــرين ٠٠ وتغضب رؤساءك ٠

ـ كيف تطلب منى أن أفعل مالاأستطيعه ؟!٠

ـ ستخسر الكثير ٠

عدت أرتشف عصير الليمون •• وألقى بعينى فى أحضان البحر •• كدت أقذف بكوب الليمون من يدى حين لمحته فوق السور الحجرى للكازينو •• تراجعت الى الخلف •• صحت :

ـ لقد عاد •

رأيته يتحسس السور الحجرى •• رفع رأسه •• حدجنى •• ثم أخرج لسانه •• هتفت فى ذعر :

ـ لقد عاد •

هرولت دون أن أحيى صديقى الى خارج الكازينو •

قالت زوجتى :

ـ هل ستسهر الليلة ؟•

غمغمت فى قرف :

ـ سأحاول أن أكتب شيئا •

قالت وهى تدخل حجرة النوم :

ـ تصبح على خير •

جلست الى مكتبى •• قلبت بعض الكتب •• تصفحت بعضها •• قلت لنفسى : فلتصنع فنجانا من القهوة يعينك

على السهر ٠٠ كان شيء من الخمــول يرخي جسدى ٠٠ تراجعت بظهرى الى الخلف ٠٠ استندت على القائم الخلفى للمقعد ٠٠ فجأة لفت نظرى لون السقف ٠٠ كان لونا أصفر باهتا ٠٠ كيف لم أر ذلكَ اللون من قبل ٠٠ هذا اللون فظيع ٠٠ فكرت فى اعادة طلاء حجرة مكتبى ٠٠ سأقول لزوجتى فى الصباح عن رغبتى لتغيير لون حوائط المكتب ٠٠ أعرف أنها تحبذ ذلك ٠٠ رأيت صورة تطل من فوق الحــائط المواجه للمكتب ٠٠ رجــل فى ثيــاب شديدة الهندمة ٠٠ من أتى بهذه اللوحة ٠٠ وتساءلت كيف أراها للمرة الأولى ٠٠ ربما اشترتها زوجتى اليوم أو أمس ٠٠ ولكنها لم تخبرنى بها ٠٠ زوجتى تفعل مايحلو لها دون الأخذ بمشورتى ٠٠ قلت سأقذف بها من النافذة فى الصباح ٠٠ أو ضعها فى (السندرة) ٠

أخرجت بعض الأوراق وأعددت قلمى الرصاص ٠٠ اعتدت أن كتب بالقلم الرصاص حتى أستطيع أن أمحو ماأريد ٠٠ لاأحب أن أشطب كلمة لاترضينى ٠٠ يقلقنى هذا ٠٠ أعددت المحاة ووضعتها أمام عينى ٠٠ بسملت ورحت أكتب ٠٠ ولكن عينى وقعتا على الصورة ٠٠ رحت أتأملها ٠٠ من رسم هذه اللوحة ٠٠ لعله أحد فنانى عصر النهضة أو عصر الباروك ٠٠ فى أى عصر تكون سوف

ألقيها من النافذة فى الصباح ·· برقت فى ذهنى فكرة ·· قلت لماذا لاتقلبها على وجهها مؤقتا ·· وجدت صدى طيبا فى نفسى لهذه الفكرة ·· نهضت لأقلب الصورة ·· حين دنوت منها رأيت رجل الصورة يبتسم ·· هل حقا ابتسم ·· أم ·· لا ·· غمز بعينه فجأة ·· أمعقول هذا ·· لقد أرهقت نفسك اليوم فى اعداد التقارير والأبحاث لقراءتها من جديد لتكتب موضوعا جديدا عن ····· تسمرت مكانى وأنا أحدق فى الصورة غير مصدق ·· كانت أذنا رجل الصورة تمتدان حتى طالتا حافة البرواز الذهبى ·· وبرزت للرجل شوارب طويلة ·· ووجدته يخرج لسانه لى ·· التمت ·· تراجعت وعدت الى المكتب ·· أغمضت عينى ·· ماذا أرى ·· أكيد أصبت بارهاق شديد اليوم ·· ولكن ·· ما ·· سمعت شيئا كأنه ··· لا ·· هذا صوت قرض لـ ·· لفأر ·· لم أصدق ·· أصغت السمع ·· كان الصوت حقيقيا ·· من أى مكان يأتى ·· حجرتى لايوجد بها غير المكتب وبعض الأرفف ·· من السهل البحث عن ذلك ·· لو كان ذلك حقيقة ·· سينهش ذلك الفأر مكتبى وأوراقى ·· بحثت طويلا دون فائدة ·· الصوت يتزايد

•• لا •• غير معقول •• أحقا •• لقد أرهقت نفسك اليوم •• لابد أن تخلد الى النوم •• نعم ••

أطفأت نور المكتب •• دخلت حجرة النوم لأستلقى الى جوار زوجتى ••

فى زيارة زميلى وزوجته لنا اليوم •• أعدت زوجتى طبقـا من الكيك •• وصنعت شـايا باللبن •• تعرف زوجتى جيدا أننى أحب الشاى باللبن وهى تحاول أن ترضينى ••

قالت زوجة زميلى :

ـ آلن تشد حيلكما ؟•• نريد طفلا •

قالت زوجتى فى استياء :

ـ اذا شاء الله ••

حول زميلى دفة الحديث قائلا :

ـ ماذا صنعت فى مقالك ؟•

قلت :

ـ لم أستطع أن أكتب حرفا واحدا •

قال فى قلق :

ـ لماذا ؟ •

زممت شفتى قائلا :

ـ لاأدرى •

قالت زوجتى :

ـ زوجى هذه الأيام كسول جدا •

قال زميلى :

ـ هذا أمر بسيط •• ألا تستطيع أن تجمع من هنا وهناك ؟ •

قلت فى حدة :

ـ لاأقتنع بهذه الطريقة المخجلة •

قال من خلف أذن زوجتى حتى لايصلها الكلام ••

ـ مازلت كما أنت •• لن تتقدم وتفهم الحياة ••

قالت زوجة زميلى فجأة فى فرح طاغ :

ـ لقد غيرنا عربتنا أمس •

قالت زوجتى وهى ترنو الى فى عتاب لأننى لم أستطع أن أشترى لها عربة حتى الآن :

ـ غير معقول لم تمض عليها أكثر من سنتين ••

قالت زوجة زميلى :

ـ البركة فى زوجى ·· يحب التجديد دائما ·

عادت زوجتى تنظر الى نفس النظـرة التى أراها دائما تهيم على عينيها ··

كنت فى حجرة لا نافذة فيها ·· لعلها احدى حجرات أرشيف الجريدة ·· لكنها خالية تماما من أى دوسيه أو مـكاتب أو أوراق ·· ودهشت لذلك ·· هـل نقـلوا الأرشيف الى مكان آخر ·· أم أننى تهت فى أحد مخازن الجريدة ·· حاولت أن أعثر على الباب الذى دخلت منـه منذ قليل ·· فجأة حاولت أن أتذكر لماذا أتيت هنا ·· وعن أى شىء أبحث ·· نسيت ·· تقول زوجتى أننى سريع النسيان وشديد الكسل ·· لم تعثر يدى على شىء ·· لامنفذ ·· هل أغلق أحدهم الباب خلفى ·· أعرف مقالب رجال الأرشيف وموظفى المخـزن ·· طـرقت الحائط ·· آلمتنى يداى ··· وصحت فى الجميع دعونا من هذا الهذر السمج ·· لاصوت ·· مامعنى هذا ·· رحت بلا وعى أنادى زوجتى علها تنتشلنى من هـذا المأزق ·· ولعله رئيسى فى العمل هو الذى أوقعنى فى

هذا الجب ‥ أعرف أنه لايحبنى ‥ وأنا لا أحبه ‥ ولكن ماجدوى مايصنعه بى ‥ هل سأحبه ‥ أيعاقبنى لذلك ‥ ياسيدى الفاضل افتح الباب أرجوك ‥ دعنى أخرج وأعدك بأننى سأحبك ‥ سأحبك بشدة ‥ لست فقط أنت بل سأحب أباك وأمك واخوتك ان كان لك اخوة ‥ وان أردت أن أحب زوجتك سأفعل ولكن أخرجنى من هنا ‥ فى لحظة تصاعد فى المكان ذلك الصوت ‥ نفس الصوت ‥ ورأسه يدخل من عقب الباب ‥ هنالك الباب ‥ رحت أطرقه بشدة ‥ كان حائطا صلبا ‥ هاهو ذا يدخل طاعنا الهواء بشواربه الحادة ‥ لازال يخرج لى لسانه ‥ ماذا تريد منى بربك ‥‥ اللئيم يعرف أننى لاأحب الفئران فأوقعنى فى مخالب أحدهما ‥ ياسيدى الفاضل أرجوك ‥ أنقذنى بربك ‥ أنقذنى ‥ بكل ماتؤمن به من آلهة أنقذنى ‥ بأى ملة تؤمن بها ‥ درزيا كنت ‥‥ شيعيا ‥ ولكن لماذا تضعنى فى طريق ذلك الفأر وحدى ‥ عاد الفأر وفتح فمه ‥ أحسست أنه يريد أن يقول شيئا ‥ قلت له أرجوك أن تدلنى على الباب ‥ ماذا تريد منى ‥ أنا لا أريد أن أصيبك بأذى ‥ ولكنى أراك تريد بى شرا ‥ راح يدور حولى ‥ ويعود الى

أحد أركان الحجرة ‥ ويحدجنى بنظراته ‥ يخــرج
لسانه من جديد ‥ لمحت شواربه تطول ‥ وتطول ‥
لا ‥ كادت أن تلمس قدمى ‥ لعلنى قريب منه جدا
‥ تراجعت الى الخلف ‥ هنــاك شىء ما وراء ظهرى
يعوق حركتى ‥ ماذا يحدث هاهو ذلك الصوت اللعين
يعود مرة أخرى ‥‥ ولكن ذلك الشرير لايقرض شيئا
‥ أيوجد أكثر من فأر فى الحجرة أرجوكم أخرجونى
من هنا ‥ دنا الفأر منى لاحظت هذه المرة أنه ازداد
سمنة ‥ كان ينمو بسرعة ‥ بسرعة ‥ ماذا يأكل
حتى ينمو بهذه الطــريقة المخيفة ‥ تزايد حجمه ‥
تعالى الصوت يصك أذنى من كل جانب ‥ لعــل ذلك
الصوت يأتى من وراء الباب ولكن أين ذلك الباب اللعين
‥ جعلت أطرق الحائط طرقات شــديدة ‥ أحسست
بالدماء تنزف من يدى ‥ والفأر يتزايد ‥ كاد يبتلع
فراغ الحجرة ‥ احتك جســدى بشــعر جلده الأملس
فانتابتنى قشعريرة قاتلة ‥ حاولت التراجع ‥ لم
أستطع ‥ تزايد ‥ تزايد ‥ مد رأسه الفــارع من
فوق رأسى ‥ عينــاه أصــبحتا كبلونتين كبيرتين ‥
يزدادان اتساعا ‥ اتساعا ‥ أحسست بالاختناق ‥
تزايد لهاثى ‥ سمعت صوت لهاثى يتخلل ذلك الصوت

البغيض ·· انى أختنق ياسيدى الفاضل أرجـوك ··
اخـ ·· اخر ··· جنى ··

قالت زوجتى فى الصباح :

ـ يجب أن تـــذهب الى الطبيب ·· ألا تـــرى هيئتك ؟·

قلت فى خوف :

ـ ماذا بى ؟·

ـ لقد زاغت عينـاك الى الداخل ووجهك شـديد الصفرة ·

قلت لها فى ضيق :

ـ لا أحب اللون الأصفر ·· وعلى فكرة يجب تغيير لون مكتبى ·

قالت فى دهشة :

ـ لماذا ؟!·

ـ لأن لونه أصفر ··

قالت :

ــ ليس لون مكتبك فقط ٠
قلت :
ــ وماذا أيضا ؟٠
ــ حجرة النوم ٠٠ المطبخ ٠٠ السفرة ٠٠
قلت فى عدم تصديق :
ــ كلها صفراء ؟٠
قالت فى دهشة :
ــ نعم ٠٠ ألم ترها من قبل ؟٠
وضعت يدى على جبهتى ٠٠ همست :
ــ سأذهب الى الطبيب مساء ٠
قال الطبيب :
ــ بماذا تشعر ؟٠
قلت وأنا لاأدرى ماذا أقول :
ــ الفأر ٠
قال الطبيب :
ــ ماذا ؟!٠
قلت :
ــ ألم تسمع الفأر ٠٠ أنا مريض بالفأر ٠

ضحك الرجل :

ـ لم أسمع بهذا المرض ·

قلت :

ـ هذا مرض جديد ·· مرض عصرى ·· وربما لم تسمع عنه من قبل ·

ضحك الرجل من جديد وقال :

ـ على كل حال دعنى أكتشف هذا المرض بنفسى ·

نمت فوق السرير الجلدى ·· عرى صدرى ·· أمرنى بأخذ شهيق ·· وكتب لى بعض المهدئات ·

بصوت غليظ قال :

ـ الى أى مدى قطعت الطريق فى الموضوع الذى كلفتك به ؟·

قلت :

ـ فى البداية ··

قال :

ـ ماذا ·· أتهذر ؟·

قلت :

ــ أنا لا أهذر ·· لم أكتب حرفا واحدا ··

قال وقد وضع قلمه فى نرفزة فوق المكتب :

ــ أتقول الحق ؟·

قلت وأنا أحس بشىء جديد داخلى ·· لعلها من تأثير مهدئات الطبيب ··:

ــ كل الحق ·

قال فى صوت عال :

ــ هذا عقوق ·· وتعطيل للعمل ·

قلت وأنا أستدير :

ــ هذا الموضوع لايقنعنى ·

قال :

ــ لقد كلفتك به ·· وهذا أمر ·

قلت :

ــ لن أكتب شيئا مما تطلب ·

وأنا أهم بالخروج سمعت الصوت ·· نظرت خلفى ·· رأيتــه يأكل الدوســيهات ولمحت رئيسى فى العمل يحمل طبقا فوقه يرقد أحد الدوسيهات ودون أن يلتفت

الى خروجى وضع الطبق أمام الفأر ·· ربت على شعره الأملس وجذب ذيله فى حنان ·· صحت فيه :

ـ أيها المجرم ··

قال :

ـ ماذا تقول ؟!·

ـ أنت الذى تربى هذه الفئران فى الجريدة لتلتهمها ·

قال :

ـ أى فئران ·· أنت تهذى ·

قلت فى غضب :

ـ رأيتك تربت على ظهره ·

ـ لقد جننت ·

ضغط على زر المكتب ·· جاء الساعى وقال فى حدة :

ـ أخرجوا هذا فورا ·

صحت :

ـ يامربى الفئران ياقذر

وقذفوا بى الى الخارج ··

في الصباح .. أحسست بالاسترخاء وأن جسدى لينا كقطعة قطن طبى .. حـاولت النهوض .. قالت زوجتى وهى تفتح عينيها :

ـ كيف حالك ؟.

قلت :

ـ بخير .

نهضت عن الفراش .. حاولت أن أتثاءب لأشعر بتلك اللذة التى كنت أحسها عند التثاؤب .. لم أستطع .. قلت لنفسى لن يفلح فى تنشيطى سوى دش ماء بارد .. خلعت ثيابى فى الحمـام .. بحثت عن اللوفة .. عثرت عليها فى صعوبة ورحت أدلك جسدى تحت دفق الماء .. أحسست بالنشاط يدب الى جسدى .. حمدت الله .. لم أعرف كيف واتتنى القدرة على أن أصـدر صفيرا منغما .. أتانى صوت زوجتى من الخارج :

ـ الماء بارد .

قلت :

ـ لذيذ .

عاودت الصفير •• بل أطلقت لنفسى الحرية قليلا ورحت أهز جسدى على نغمات الصفير •• شعرت بالتحسن وقلت لنفسى هذا صباح جميل •• رحت أجفف جسدى وحين امتدت يدى الى الخلف لأجفت مؤخرتى أحسست بشيء غريب •• شيء مدبب •• يخرج من مؤخرتى من أسفل عمودى الفقرى •• قلت ماهذا •• هل أصبت بورم خبيث •• رحت أتحسس مؤخرتى •• وجدت ذلك الشيء يطول ويمتد •• سرت يدى مع امتداد ذلك الشيء •• التعت •• قفزت الى مرآة الحمام المائلة قليلا عن الحائط •• استطعت أن أبصر مؤخرتى •• ماهذا •• ذيل •• غير معقول •• رحت أتحسس الذيل فى جنون •• لقد نما لى ذيل •• كيف •• ومتى •• جذبته بشدة عسى أن ينخلع فى يدى •• كان قويا •• ومتمسكا بمؤخرتى فى قوة •• حاولت أن أصرخ •• توقفت الصرخات فى حلقى •• أتريد أن تفضح نفسك •• ستعرف زوجتك بذلك الأمر •• ياله من أمر •• من يصدق أن ذيلا نما فى مؤخرتى •• •• وقفت ألتقط أنفاسى •• وأفكر فى هذا الطارىء الغريب •• كيف أتخلص منه •• وهل يمكننى التخلص منه •• فكر فى الأمر بهدوء ولا تتعجل ••• كن يقظا وحذرا •• هاأنت

ذا فى وضع غريب .. لن يطيب لأحد أن يراك بهـذا الذيل حتى زوجتك .. عاوده التياعه .. كيف تداريه حين تمارس مع زوجتك الـ ..... ورأت ذلك الشيء .. ماذا يكون موقفك منها وموقفها منك .. يجب أن تحذر هذا على الأقل لتفكر فى الأمر وتجد حلا مناسبا .. سأذهب الى الطبيب ليبتره .. وسأرشوه ليتكتم السر .. ليس أمامك من سبيل الا أن ترشـوه ... هـذه هى الطريقـة المثـلى لاحتفاظه بالسر داخـل صـدره .. سيصونه .. ولكن أى طبيب ...

ــ تأخرت كثيرا .. ماذا تفعل ؟.

انتبه .. قال :

ــ سأخرج حالا .

ارتدى ثيابه بسرعة .. حـاول أن يخفى الذيل بين فخذيه .. تألم لانثنائه .. فرده .. بدل من طريقة سيره حتى لاتلحظه زوجته .. قالت :

ــ الشاى باللبن جاهز .

قال :

ــ تأخرت .. سأذهب الى الجريدة .

انتهز فرصة دخولها الحمام وارتدى ثياب الخروج
•• وهى بالداخل قال :

ـ تأخرت •• سأنزل •

ـ قبل أن تشرب الشاى باللبن ؟•

قال :

ـ رئيسى فى العمل سيحضر مبكرا •

فى الطريق قال لنفسه :

ـ يجب أن أتخلص منه •

وأخذ ينظر الى الناس ويتمنى من الله ألا ينتبه أحد اليه •• بينما راح يتلفت فى قلق صوب كل اتجاه •

زحف الهـوام ....

فى لحظة تسحبت الى الباب .. كان من المفروض أن يأتى فى تلك اللحظة .. أن يطرق الباب بيده ويدخل فى ابتسام .. أستطيع أن أميز خطوات قدميه من بين آلاف الأقدام .. ومن قاعدة الباب يغزو ضوء شاحب غرفتى .. الضوء لايدخل من خلال النافذة .. النافذة عالية تكاد تلتصق بالسقف .. وخط الضوء عند قاعدة الباب لايتحرك .. ورغم الظلام ألمح خياله يتماوج على جدران الغرفة .. ينتقل بين الفــراش الكالح وزوايا المكان .. وحين تعاود الأقدام الغليظة طرقاتها المعتادة ينتابنى هبوط وأرى خيــالى حزينا على الفــراش .. يأتينى صوته بأنة منغمة ويشيح بوجهه عبر النافذة .. لكننى أعرف أنه يبكى بصوت مخنوق .. وأطرق برأسى بحسرة .. واذ ذاك يخرج من الحائط الى حائط آخر .. وحين يقترب منى يقف فوق ظهرى طويلا بلا حراك .. أشعر أنه يقاوم قوة ما لكنه يندفع الى الخلف يزحف على

---

* مجلة الكاتب العدد ٢٢٢/٢٢٣ أكتوبر/نوفمبر ١٩٧٩ .

جدران الغرفة ثم يلتصق على الجدران وراء الفراش تماما ·· ويعم الصمت ·· على السفينة كان أوديسيوس يصرخ بصوت غاضب أن ينهض جميع الرجال ليواصلوا الرحلة ·· وكان البحر غاضبا على أوديسيوس فطوى السفينة بين جوانحه ·· ولكن حين ·· دخلت فاطمة لم تر الا سحابة حزن خفية تحوم على وجه بينلوب وهى فى صمت تنسج فى نول أمامها ·· قالت بينلوب لفاطمة :

ـ أنا أومن بعودته ·

فى حسرة قالت فاطمة :

ـ لقد مرت أعوام ·

وبصوت متردد نوعا ما تقول بينلوب :

ـ أنا أؤمن بعودته ·

ـ بينلوب حزينة ·· فما من شىء ·

وراء الباب طرقات الأقدام المعتادة تلتف حول الغرفة وتدخل فى اقتحام عنيد ·· تجعل الغرفة مارشا كئيبا ·· تصم فاطمة أذنيها وتترك تعابير الرعب تجول فى وجهها ·· وحينما حاول أوديسيوس فى خضم الماء أن يلتفت الى الأشباح التى تناديه عند الشاطىء ·· قيده

الرجال فى سارى السفينة ·· وراح يصرخ ·· صرخت فاطمة وغادرت الحجرة ·· وتحرك ظلى دون آن أتحرك ·· فرفض الضوء أن يواصل غزوه فانسحب ·

كانت فاطمة ذات وجه مصرى ·· وجه رأيته فى تماثيل مصر القديمة ·· وأحسست ظلاله فى المعـابد الضخمة ·· كانت تقبض على يدى فى قوة وتبتسم دون توقف ·· قالت لى :

ـ سوف تعود سالما باذن الله ·

قلت فى انشراح حقيقى :

ـ سأعود من أجلك ·

ولكن حين دخلت الحجرة عليها هـذا الصـباح ·· ارتاعت مذعورة ·· وقالت فى غضب هائل :

ـ لقد حول السجن الرجال الى عجول ·

قالت :

ـ لكنى لاأراك عجلا ·

قلت فى ضيق :

ـ لكنى أيضا غير حقيقى ·

هتفت :

ــ وأوديسيوس ؟٠

ــ لقد أرادت أن تظفر به الساحرة ٠

وقبل أن يهبط الفجر دخل الغرفة ضاحكا ٠٠ كنت أخشى أن أقول له أن رجال أوديسيوس قد صاروا عجولا ٠٠ ولكنه قال :

ــ لقد تحولوا الى عجول ٠

قلت فى هلع :

ــ أكنت تعرف ؟٠

قال :

ــ كنت أعرف قبلك ٠

فقلت له وأنا أتجه نحو الفراش :

ــ لماذا لم يصبح أوديسيوس عجلا ؟٠

قال :

ــ كانت تريده كى تحطمه ٠

وقلت فى تأكيد :

ــ لكنها لن تستطيع أن تغزو قلبه ٠

لم يتحرك ظلى وراءه ٠٠

راح يضحك فى صوت غريب ٠٠ طارقا رأسه فى

جدران الغرفة ·· ومن قاعدة الباب والنافذة العالية دخلت جحافل هوام صغيرة ·· دارت فى الحجرة ·· وجعلت تطن ·· ومازال يلتف مع جدران الغرفة يضحك عاليا ·· ولما خرج منهكا ·· ظل ضحكه يتنفس معى هواء الغرفة والهوام الصغير ·· قالت فاطمة لى :

ــ أنا أفضل أن أمكث بجوار بينلوب فهى حزينة ·

قلت :

ــ ألا تستطيعين نسيان بينلوب للحظة ؟·

قالت فى أسف :

ــ أنسيت أنك تنتظر عودة أوديسيوس معها ·

قلت محولا دفا الحديث :

ــ فكرى فى زواجنا ·

ــ انى أنتظر أوديسيوس أن يبارك زواجنا ·

كانت بينلوب فى الركن تنسج نولها ·· واذا استشعرت أن النول كاد أن يتم راحت تحل مانسجته من جديد ·· قالت فاطمة لها :

ــ بهذه الطريقة ستنهك قواك ·

ثم قالت وسحابة حزن لاتفارقها :

ـ وماذا يجدى النول ؟٠

ـ سيبعدنى عنهم ان لم يتم ٠

لما دخلوا التفوا حولى ٠٠ تضاءلت فوق الفراش ٠٠ ظلوا وقتا طويلا يلتفون حولى فى صمت ٠٠ والهوام لم تغادر الغرفة ٠٠ كان يلتف معهم :

ـ ألا تسـمعين طنين الهـوام ٠٠ كلها تريد أن تلتهمنى ٠

٠٠ لم أستطع أن أرفع ذراعى ٠٠ لأحول الهوام عن وجهى ٠٠ خارت قواى فلبثت فوق الفراش ساكنا ٠٠ بعد فترة صمت قال أحدهم :

ـ ماأسمك ؟٠

قلت فى صوت متهدج :

ـ لاأذكر ٠

قال آخر :

ـ كنت ماذا تعمل ؟٠

قلت وأنا أحاول أن أتذكر :

ـ أذكر أنى كنت شاعرا ٠٠

قال ثالثهم :

ـ تستطيع أن تخرج من هنا اذا ساعدتنا •

قلت وأنا أزداد تغضنا :

ـ خارت قواى •• ولن أفيدكم بشيء •

قالوا فى صوت واحد :

ـ تستطيع •

قلت :

ـ انى أنتظره •• كان من المفروض أن يأتى أمس •

قالوا :

ـ من تنتظر ؟•

ـ أوديسيوس •

تبادلوا النظرات وقالوا :

ـ أوديسيوس دخل كهف المارد ولن يخرج •

عند الباب قالت فاطمة : •• لم أعرف أنها موجودة :

ـ لاتصدق •• أوديسيوس فقأ عين المارد بدهائه•

قلت لها :

ـ أعرف وقد رأيتـه ·· لكن الهـوام كثيرة فى الحجرة ·

قالت :

ـ تخلص منها ·

قلت :

ـ أوديسيوس كان داهية ·

عندما لم أجبهم ·· حدجونى فى غضب وتركونى للهوام ·· قلت لفاطمة :

ـ أسرعى ·· اطردى الهوام ·· ماعدت قادرا ·

قالت :

ـ أوديسيوس سيعود ·· وأنا أنتظره ·

ونظرت الى أمى نظرة تفيض بالحنان ·· ونسـيج دموعها يغطى عينيها ·· أسلمت لها نفسى فاحتضنتنى بقوة ·· وأخذتنى من يدى دون أن تدرى الى أين ·· دارت فى الحجرات ·· واحـدة بعد واحـدة ·· واذا استكانت قليـلا مكثت أمامى على مقعد خـيزانى ·· وجعلت تبكى ··

لم أستطع أن أقول كلمة ·· بكيت معها ·· ومن خلال دموعها قالت :

ـ لقد تغيرت •

قلت :

ـ لقد أكلتنى الهوام •

قالت وهى تربت على كتفى :

ـ لماذا لاتقاوم ؟•

قلت فى استسلام :

ـ الهوام كثيرة وكانت تتوالد بكثرة •

قالت :

ـ شوه وجهك •

قلت :

ـ لم تعد ملامحى القديمة •

قالت :

ـ ألم تكتب شعرا •؟•

قلت :

ـ لقد أكل الهوام شعرى •

لفت سمعى أصوات صاخبة فى الخارج •• وأقدام ترتطم بالأرض •• ومازال خط الضوء غاربا فى ظلام الحجرة •• من نافذة دخل هواء بارد فارتعدت مفاصلى

•• ورأيت جحافل الهوام تلتصق بالجدران والبعض يملأ هواء الغرفة •• من الجدار دخل أوديسيوس قفزت هلعا •• وفرحا فى الوقت نفسه •• قلت له انى أنتظره من زمن •• قال :

ـ لقد أبلغتنى آلهة الأولمب بك •• وجئت لانقاذك •

قلت فى سرور :

ـ أسرع أنقذنى بحق بينلوب •

قال :

ـ وأيضا أريد العودة لبينلوب •• انها تنتظر مثلك •

قلت له :

ـ فاطمة تشد من أزرها •

قال :

ـ فاطمة هبة الآلهة •

رفع عن كتفه قطعة قماش •• قال :

ـ شراع سفينتى •

قلت :

ــ ولماذا أتيت به الى هنا ؟٠

قال وهو يشرع فى طرد الهوام به :

ــ أساعدك ٠

فتح الباب فى سرعة ٠٠ ودخلوا ٠٠ رجال كثيرون ٠٠ قيدونى ٠٠ وغادروا بى الغرفة ٠٠ قبل أن أخرج قلت لأوديسيوس أطرد الهوام حتى أعود ٠٠ فوجئت بفراغ الغرفة وكثرة الهوام ٠٠ وحينما ألقوا بى فى فناء رملى ٠٠ قال أحدهم :

ــ ألن تساعدنا ٠

قلت :

ــ لا أستطيع ٠

قال :

ــ سيكلفك هذا الكثير ٠

قلت :

ــ لاأستطيع ٠

وحين رفع أحدهم رشاشه فى وجهى ٠٠ قال :

ــ ماذا تطلب ؟٠

كنت أعرف أنه سيفرغ رصاصه فى صدرى ••
همست فى ألم :

ـ أريد أن أرى فاطمة •

قالوا :

ـ مستحيل •

قلت :

ـ فاطمة عند بينلوب •

قالوا :

ـ أطلب شيئا آخر •

فكرت قليلا •• وقلت لنفسى ربما لايجدى سوى قصيدة أكتبها لفاطمة •• وأجابوا طلبى ببعض الوقت وأعطونى قلما وورقة وقالوا فى ضيق :

ـ أكتب •

حاولت أن أكتب •• لكن تذكرت أن الهوام ابتلعت كلماتى •••

فصمت •••

تحت أقدام رمسيس

لفظ مرسال القطار القادم من جوف الصعيد ..
قذفه أمام رمسيس .. ونفث أبخرته السوداء في وجه
رمسيس فى حنق وغضب .. اندفعت الأبخرة الحمقاء
تزكم أنف الملك المختال .. فسعل فى حدة ولعن اليوم
الذى أسره فيه الحيثيون .. وصاح فى ضيق فى السماء
الشاسعة من فوق رأسه :

ـ نفرتارى .

منذ وقوفه منتصبا أمام هذه الأشياء القميئة
والأسوار التى يبنيها الحيثيون من حوله خشية أن يفر الى
بلاده البعيدة .. يختال امام وجهه وفى السماء العريضة
المختنقة بالغبار وسناج القطارات .. وجه نفرتارى
الحبيب .. وصدرها الدافىء .. أما يعرف هؤلاء
الحيثيون أنه لايجسر ملك على الهروب من أيدى
الأعداء ؟ ..

نشرت فى مجلة أكتوبر العدد ٢١٧ ـ ١٩٨٠ .

كيف يهرب ويسقط تاريخه القديم وتتصدع أسطورته ؟!٠٠

فعلى أن أتنفس سمومهم ولأبق منتصبا هنا يتفرجون على فى بلاهة ٠٠ لن أهتم بهم هؤلاء الحيثيون الأغبياء ٠

وتأمل مرسال رمسيس المختال ونثار الماء المتدفق من بين أصابعه ينثر على وجهه رذاذا رطبا ٠٠ انتعش مرسال وعرض وجهه فاغرا فاه فى بلاهة ليتلقى دفق الماء على وجهه ٠٠

كان يعانى من أبخرة القطار التى حلقت حول عنقه ووجهه وأسفل حاجبيه ٠٠ أشياء لزجة ٠٠ لكن قلبه فى الصدر كان يتأرجح فى غبطة متناهية ٠٠ مصر أخيرا ٠٠ مصر أم الدنيا ٠٠

وتمثلت له حكايات الأصدقاء القديمة عن مصر ورونقها وغرابتها ٠٠ وكم تمنى أن يأتى الى مصر ليتم تعليمه المبتور ٠

عادت تلك الغصه الحادة تشق حلقه ٠٠ تصاحبه كلما يتذكر انقطاعه عن مواصلة دراسته منذ وفاة والده ووراثته لاخوة صغار وبضعة قراريط من الأرض ٠٠ الآن يأتيها عليلا طالبا الاستشفاء ٠٠ وتذكر آلامه

فأشاح بوجهه عن عينى رمسيس الذى راح يشخص فيه النظر بعينين متآكلتين ·· وحاول رمسيس أن يتذكر فى أى مكان رأى هذا الوجه ·· أما مرسال فكان يعرف رمسيس ·· لم يتحير ·· ورأى نفسه منتصبا فى شموخ ومن بين أصابعه يندفع رشاش الماء الذى يأخذه الريح بعيدا ·

ولكن حين ارتد مرسال الى الخلف ليشق طريقه تعثرت قدماه ·· وأحس بهبوط ·· وعاوده ذلك الألم القاتل ·· وتمنى أن يجد الشفاء ·· وتهاوت اليه كلمات أمه وسط صخب العربات وأبواق السيارات :

ــ مع السلامة ·· ولتعد الينا معافى ·

كان دائما يرى سيل الدماء المتدفق بين البول الأصفر ·· ويرى روحه تتسرب كل يوم من بين فخذيه ·· ويهتف فى ألم : سأموت قريبا فى يوم ما ·

لم يعرف أى الطرق يسلك ·· كلها مزدحمة زاخرة بالعربات والسيارات والأجساد اللزجة ·· أشار الى أحد العابرين ·· لم يعره التفاتا ·· أمسك بذراع أخرى لكنه كان متعجلا فجذب ذراعه وحدجه فى عنف وواصل طريقه ·· تحير ·· كادت تلتهمه عجلات الترام

الحديدية ‥ جذبه وعيه وقفز فوق الطوار ‥ تنهد ‥ وتشهد فى خفوت ‥

لم يجد بدا ‥ جذب أحدهم فى عنف وتساءل :

ــ أى الطرق تؤدى الى مركز مكافحة البلهارسيا ؟.

تكلم الرجل كثيرا ‥ أشار هنا وهناك ‥ لم يفهم مرسال ‥ ولكنــه على امتــداد ذراع الرجل تخبط فى الأجساد ‥ ودفعه أحدهم أسفل الطوار .

عاد اليه من جديد ‥ وشعر بالاختناق ‥ فرفع ذراعه الحجرية ليمسح وجهه ‥ ورفع ســاقه ليخفف عنها ثقل الجسد العاتى ‥ وتأمل الميدان الزاخر ‥ تنهد ‥ وصاح فى السماء بصوت عال :

ــ نفرتارى ‥ لقد أسرنى الحيثيون .

لم يهتم به أحد ‥ ولم يسمع نحيبه المتصاعد نحو السماء ‥ وطوى آلامه بين جوانحه وشعر بشىء يسرى بين فخذيه ‥ أهى دماء جديدة ؟.

ونظر الى جلبابه ‥ خشى أن يكون قد تلوث ‥ فتألم ودس يده فى جيب جلبابه ودفع بالجلباب الى الأمام فى خفيه عن عيون الناس ‥ وعاد يسأل شرطيا يقف عند ناصيه الطوار :

ـ مركز مكافحة البلهارسيا ؟ •

قاطعه الشرطى فى تأفف •• ولوى وجهه بعد أن دفع ذراعه على امتداد الشارع •• وواصل طريقه •• سقطت الشمس فوق رأسه •• ألهبت جسده فازدادت آلامه فطواها على مضض •• رفع يده ليجفف سيل العرق المنساب وتململ •• حرك رأسه •• وراح يتأمل الميدان من جديد واللهب فوق رأســه يصليه نارا ••

رنا الى القرص الأصفر فى خوف •• وتوسل الى آمون أن يخفف عنه حدة ناره •• لم يهتم آمــون •• فألقى بصره تحت قدميه •• رأى النيل المتدفق من بين أصابعه •• فتهلل •• :

ـ أيها الاله العظيم ••

جثا على ركبتيه •• نظر الى الوجه الحجرى المنعكس فوق سطح الماء •• وصلى فى ضراعة •• ولكنه اشتاق الى أن يغسل الجسد المترب من عناء الأسر فى مياه النيل العذب •• رفع قدمه ودس بها فى بطن الماء ••

كان الماء دافئا هو الآخر •• تأفف ولم يجد وسعا فهبط بجسده حتى القاع •• ولكن حين اقترب أنفه من الماء •• تصاعدت رائحة كريهة الى أنفه •• وتلمس فى

الماء رائحة عفنة ٠٠ كان الماء دهنى الملمس ٠٠ فصاح فى غضب :

ـ نفرتارى ٠٠ لقد لوث الحيثيون النيل العظيم ٠

رغم هذا ترطب الجسد الحجرى العاتى وارتوى فمه ٠٠ ولكنه آثر أن يزدرد قطرات من العرقسوس الطيب قبل أن يواصل سيره ٠٠ فقد أحس بالعطش ٠

توقف الرجل ليصب له كوبا من العرقسوس ٠٠ ازدرده عن آخره ٠٠ وشعر بارتياح ٠٠ وأوقف سائرا ليسأل فى خجل :

ـ مركز مكافحة البلهارسيا ؟٠٠

وتهادى اليه صوت طبيب القرية الرخيم :

ـ لقد استفحل المرض ٠٠ لا علاج لك لدينا ٠

فهمس فى خفوت :

ـ أهى النهاية ؟٠

فقال الطبيب :

ـ علاجك فى مصر ٠

وقالت الأم :

ـ فلنبع قراطين من الأرض ٠

هتف فى ألم :

ـ الأرض كل مانملك الآن ·

ـ أنت كل شىء لدينا ·

وهى تشيعه ·· صاحت ودموع تتأرجح فى عينيها :

ـ مع السلامة ياولدى ·· فلتعد لنا معافى ·

ولج الباب الحديدى ·· سأل أحد الرجال ·· أبرز له أوراق علاجه القديم فسمح له بالمثول أمام الطبيب ··

قال الطبيب وهو يتطلع الى الأوراق :

ـ دائما تأتون الينا بعد قضاء الأمر ·

فقال مرسال فى هلع :

ـ أليس لديكم علاج لى ؟·

قال الطبيب فى تأفف :

ـ لابد أن نقوم أولا بفحصك ·

وأخذوا منه عينات من البول والدم ولفظوه الى الخارج من جديد · تلقفته الطرقات بوجهه العظمى ·· ولونه الأصفر ·· تخبط فى الأجساد ·· لم يجد مأوى

فعاد بآلامه الى الملك المختال ·· ووجد من الملعب الاسمنتى ملاذا ·· فأسند رأسه وراح يغط فى النوم تحت قدمى رمسيس ·

بغتة تحرك رمسيس ·· نفض عن جسده خموله الأزلى فهبط من فوق المكعب الاسمنتى ·· أزاح جسد مرسال بعيدا عن طريقه ·· ونزل الى الطريق ·

لم يجد لقدميه مكانا ·· تدافع بالمنكبين وشق له طريقا وسط الأجساد المحتشدة ·· تأفف من الاحتكاك بأجساد الحيثيين الأعداء ·· ولكنهم لم يحفلوا به ·· لم يكد يخطو خطوة واحدة حتى سدت الشرائط الحديدية طريقه ·· عاد الى الخلف ·· اكتشف أن أسره حقيقى ·· فهتف فى غيظ :

ــ هؤلاء الخبثاء نقضوا العهد ·· ولكن كيف شنوا الحرب على طيبة العظيمة ؟·· كيف أسرونى ؟·

وعاوده الحنين الى وجه نفرتارى الحبيب ·· فأحس بألم يشق صدره وراح يدعو آمون أن ينقذه من براثن الحيثيين ·· ترى هل أسروا نفرتارى ؟·· أيضا ·· وصاح فى غضب فى سماء الميدان :

ــ نفرتارى ·

لم يعره أحد التفاتا ٠٠ وبخطوات ثابتة ٠٠ هبط ويمم نحو الشرطى القريب من وسط الميدان ٠٠ ناداه قائلا :

ــ أيها الحيثى ٠٠ أين نفرتارى حبيبتى ؟٠

أشاح الشرطى بوجهه ٠٠ ولوح بيده فى غضب :

ــ عد الى مكانك ولاتربك المرور فى الميدان ٠

ــ هل أسرتم زوجتى نفرتارى ؟٠

قال الشرطى فى صوت آمر :

ــ عد الى مكانك والا حررت لك محضرا لارباكك المرور ٠

على مضض عــاد رمسيس ٠٠ لم يجــد مكانا يسع جسده العاتى سوى عرشه الحجرى ٠٠ عاد وأزاح مرسال بقدمه ٠٠ وأقعى فوق المكعب حزينا ٠٠ يتأمل ســطح النيل المعتم ٠٠ ولكنه عاد وصرخ فى وجه آمون الوردى أن يهديه الى نفرتارى الحبيبة ٠

حينما هبط الليل عاودت مرسال آلامه الحادة ٠٠ ونزف دما غزيرا لوث سرواله ٠٠ ولكنه لم يستطع أن يكبت صرخاته خــوفا من أن ينتبه اليه أحــد ٠٠ كان الميدان قد خفت عنــه الأقدام والأضــواء ٠٠ وأغلقت

البيوت المحدقة بالميدان عيونها الكابية ٠٠ وأسدل ظلام خفيف ٠٠ لم تبق الا الأضواء الصفراء الباهتة ٠٠ عوى مرة أخرى وتأكد من أن الدماء قد شقت لها طريقا بين فخذيه ٠٠ طوى آلامه من جديد وتمسح بالمكعب الأسمنتى ٠٠ هدأت الآلام قليلا ٠٠ وجعل يتطلع الى سرواله الداخلى ٠٠ كان ملوثا ٠٠ كان عليه أن ينظف ثيابه فليس من المعقول أن يسير فى الطرقات حينما تبزغ الشمس وثيابه ملوثة بالبقع الحمراء ٠

تفتق ذهنه فجأة ٠٠ وأمعن النظر فى الماء المترقرق الذى يعكس الضوء الأصفر الباهت ٠٠ وعندما أوغل الليل خلع ثيابه ٠٠ وفى خوف سقط فى الماء ٠٠ أحدث سقوطه صوتا ٠٠ ووجد عينين متنمرتين تحدقان فيه ٠٠ سحبه الشرطى ٠٠ توسل مرسال اليه فى خجل ٠٠ عرض عليه ثيابه الملوثة بالدماء ٠٠ لم يهتم الشرطى ولكنه لم يتركه الى حاله حتى أخذ كل مافى جيب مرسال ٠٠

فى الصباح قال الطبيب :

ـ عد الينا غدا ٠

زم مرسال شفتيه ٠٠ قال :

ـ لاأستطيع البقاء أكثر من ذلك ٠

وهتف رمسيس فى الفضاء :

ـ أيها الحيثيون الجبناء ٠٠ أطلقوا سراحى ٠

قال الطبيب :

ـ فى صراحة ليس لدينا علاج لك ٠٠ علاجك فى الخارج ٠

بوغت مرسال وهتف فى هلع :

ـ وكيف أذهب الى الخارج ؟٠

عاوده تساؤله الحائر من جديد :

ـ هل الشفاء مأمول ؟٠

قال الطبيب :

ـ الشفاء بيد الله ٠

وتزحزح رمسيس لآمون المنتصب فوق رأسه تماما ٠٠ وصاح فى غضب :

ـ نفرتارى ٠٠ أطلقى سراحى ٠

وسحب مرسال قدميه فى اعياء الى ملاذه تحت قدمى الملك المختال ٠٠ تذمر رمسيس من ذلك الذى يعـوى تحت قدميه كل ليلة ٠٠ فأزاحه بقدمه بعيدا ٠٠ تطوح

مرسال وسقط بعيدا عن قدميه ٠٠ عاد مرسال وتوسد ذراعه طاويا بين جنبين عليلين تلك الآلام ٠٠ وتساءل في حيرة :

٠٠ كم من الدماء نزفت يامرسال ؟٠٠ هل بقى من العمر شيء ؟٠

وتمثل له وجه أمه ٠٠ وتمنياتها له بالشفاء ٠٠ ولعن اليوم الذى وطئت فيه قدماه مصر ٠٠ تنهد ٠٠ وصرخ في غضب :

ـ أيا رمسيس الصامت ٠٠ ألا تتكلم ٠

غمغم رمسيس في ضيق وصاح في مرسال :

ـ أيها الرجل ٠٠ أنت تقض مضجعى ٠

قال مرسال للملك المختال :

ـ أنت لم تشعر بألمى ٠

ثم لوح بيده في وجه رمسيس حانقا ٠٠

ـ لقد ماتت قلوب الأطباء ياملكى الصامت ٠

فقال رمسيس في صوت آمر :

ـ ان طاعة الملوك واجبة ٠

قال مرسال في حنق :

ـ علاجى فى الخارج ·· هل تسمع عن الخارج ؟·

صاح رمسيس :

ـ هل أسرتم نفرتارى وأرسلتموها مسبية الى الخارج ؟·

غمغم مرسال :

ـ هل رأيت الدماء تنزف من بين فخذيك ؟·

نظر رمسيس مابين فخذيه وتساءل فى تأفف :

ـ الدماء ؟·

ـ وأيضا الموت ·

قال رمسيس :

ـ ان مت فسآمر الأطباء بتحنيط جثتك ·

ـ مافائدة التحنيط بعد الموت ؟·

ـ انه الخلود ·

زمجر مرسال وقال للملك المختال :

ـ الموت ·· انه الخراب ·

وتذكر امه واخوته الصغار وبضعة القراريط ·· ولاذ رمسيس بصمته ·· وراح مرسال يشق السكون

المخيم بصرخاته الملتاعة ·· وفكر فى العودة الى قريته ·· وقال فى نفسه :

ـ ان كان المـوت محتـوما فـلأمت بين أحضـــان قريتى ·

ولكن الشرطى أخذ كل مايملك ·· وفكر فى وسيلة للعودة ·

قبيل الفجـر برحت بمرســال الآلام ·· نزف دما غزيرا ·· واستشعر طعم الدماء فى فمه ·· وأدرك أنه الموت المحتوم ·· فلكز رمسيس فى قدمه ·

تململ رمسيس فى غفوته ·· نظر اليه ·· هتف :

ـ مابك ؟·

صاح مرسال فى ألم :

ـ انى أحتضر ·

وتضرع رمسيس لآمون أن يرأف بعبده ·· وأن يسلب روحه دون ألم ··

ورنا مرسال الى الميدان ·· حدق فى الماء الساكن أمامه ولفظ أنفاسه ·

اغتم رمسيس ·· أدرك أنـه مات ·· فبكى بكاء حقيقيا ·

كانت دموع رمسيس صافية رائقة ·· ليست دهنية الملمس ولا تسبح فيها البلهارسيا ··

صورة للحائط القديم

جرداء الحوائط ·· يسترخي الخواء في تثاقل فوق كل شيء ·· رتيب الزمن ·· تساقطت بكارة أيامه كأوراق جافة ·· لم يبق سوى فنجان القهوة يحتسيه في تراخ في ركن المقهى ·· وعينان ذاب سوادهما يلتقطان الحياة الزاخرة من النافذة الوحيدة بصعوبة ·· وطاقم الأسنان الغارق في كوب الماء طوال الليل ·· وتلك الزيارات القليلة لأولاده وابتساماتهم الباهتة ·· لاشيء جديد ·· منذ الصباح تكالبت على ذهنه أفكار غريبة ·· مازلت موجودا أتنفس غبار الحياة ·· لم أمت بعد ·· وبدأت أحلام مذعورة تقض مضجعه ·· يجتر لحظات الألق البعيدة بفم انتزعت أسنانه ·· يقضي جزءا من الليل يبعثر أوراقه الصفراء ·· يتطلع الى الصور القديمة لأولاده ··· لم يكتشف الا مؤخرا أنه لم يترك لأولاده شيئا يذكرهم به ·· فلتقض أسبوعا معنا ·· ألا تضيق بالوحدة ·· نرحب بك دائما ·· كلمات

نشرت بجريدة المساء ١٩٨٢/٢/٧

جـوفاء ٠٠ من خلف الوجـوه أتلمس ضيقهم بى ٠٠ فلأتنفس الخواء وحدى ٠

قال وهو يحتسى قهوته :

ـ أصبح الأولاد بعيدين ٠

يتطلع الى الخارج خلال اطار النافذة الوحيدة ٠٠ ثمة بعض الهواء يمرح فى الخارج ٠٠ أحس بالبرودة وتفاقم شىء فى داخله ٠٠

ـ ما أبعدهم ٠

لم يزل ذلك الحلم يراوده حينا بعد حين ٠٠ يراهم يلتفون حول صورة كبيرة له وهو فى سن الشـباب ٠٠ يقبلون الزجاج ٠٠ يتمسحون بها ٠٠ شعر بسعادة ٠٠ وراح يبعثر أوراقه عسى أن يعثر على صـورة شـبيهة لصورة الحلم ٠٠ لم يعثر على صورة واحدة متماسكة ٠٠ تهالكت من فـرك أصـابع يديه ٠٠ لابد من صـورة جديدة ٠

فى الصباح حلق ذقنه بعناية شـديدة ٠٠ شـذب أطراف شاربه ٠٠ تأمل نفسه فى المرآة ٠٠ دخل ليأخذ حماما ٠٠ عاد ليقف أمام المرآة من جديد ٠٠ رجل شعره الفضى ٠٠ جفف طاقم الأسنان ٠٠ جعله ناصعا تماما

.. دسه بين فكيه .. انتزع من جـوف الدولاب حلته تلك التى شهدت يوم عرسه ..

غمغم فى اصرار :

ـ مازلت موجودا .

قبل أن يقف أمام الكاميرا تطلع الى نفسه فى المرآة المختفية خلف الستار .. ابتسم وأسلم نفسه للرجل .. أمال ذقنه يمينا .. يسارا .. قال :

ـ هكذا أفضل .

برق الضوء .. خرج منتشيا .. فى ركن المقهى جلس ليحتسى قهوة الصباح .. رنا الى الطريق المحصور بين اطار النافذة الوحيدة .. زغرد القلب فى الصدر .. ردد فى خفوت :

ـ مازلت موجودا .

حين استلم الصورة الجديدة ذات الحجم الكبير طفق يعرضها على رواد المقهى ليبدون فيها رأيهم .. دسـها داخل ظرفها بحرص متناه وراح يحتسى قهـوته .. لم يبق الا الحصول على اطار مناسب لصورته الجديدة ..

لم يكن بالمستطاع شراء اطار جديد تماما ٠٠ خطر بذهنه بغتة عم برهان بائع الروبابكيا ٠٠ وحينما استدار ليلقى بعينيه خارج النافذة ومض ضوء على الجانب الآخر من الطريق ٠٠ شيء ما يبرق بين حطام الأشياء المكدسة فوق العربة الخشبية ٠٠ اقتربت العربة من اطار النافذة ٠٠ لمح ابتسامة عم برهان تسبقه ٠٠ التقت عيناهما ٠٠ قريبا من النافذة وقف عم برهان ٠٠ قال :

ـ أتحتاجنى ؟٠

دهش ٠٠ ولكنه لم يملك الا أن يقول :

ـ جئت فى وقتك ٠

ـ ماحاجتك ؟٠

ـ اطار لصورتى الجديدة ٠

قال عم برهان :

ـ جاهز ٠

ثم لوح بسبابته فى الهواء :

ـ لا مساومة ٠

انتزع من بين حطام العربة اطارا ليس بالجديد ولكنه مناسب تماما :

ـ هذا طلبك ٠

فحصه فى عناية ٠٠ اغتبط داخله ٠٠ لم يساوم ٠٠ ابتسم عم برهان وهو يوليه ظهره ساحبا عربته خلفه ٠٠ قبل أن يجلس فوق مقعده أسفل النافذة ٠٠ نظر الى عم برهان ٠٠ كان يتلفت اليه ويبتسم ابتسامة لامعنى لها ٠٠ تأمل الاطار ٠٠ فجأة تنبه الى وجود صورة لرجل أسفل زجاج الاطار ٠٠ فهمس :

ـ ماحاجتى لهذه الصورة ٠

حين رفع فنجان القهوة الى شفتيه لمح شيئا غريبا فى صورة الرجل الآخر ٠٠ انه قريب الشبه منه ٠٠ شعر فضى وشارب مشذب ٠٠ تأمل الصورة لعل عينيه فقدتا القدرة على الرؤية ٠٠ ليست هذه الصورة لأحد سواى ٠٠ بهت ٠٠ هذه صورتى تماما ٠٠ التاع ٠٠ لم يدر ماذا يصنع ٠٠ قفز الى الخارج ليلحق بعم برهان ٠٠ ولكنه لم يعثر له على أثر ٠

لم ينتظر حتى يجىء الصباح ٠٠ طرق باب ولده الأكبر فى الليل ينسحب فى بطء حثيث ٠٠٠ قال لولده :

ـ هل نسخت احدى صورى القديمة ؟٠

فى دهشة قال الابن :

ـ لم أفكر فى هذا من قبل

ترك الابن فى دهشة ٠٠ خرج يتعثر فى خطواته ٠٠ سار فى الطرقات على غير هدى ٠٠ تعب ٠٠ قال الابن الأصغر :

ـ ما الذى تفكر فيه ياأبى ؟٠

همس فى ذهول :

ـ لاشىء ٠

لم يستطع النوم ٠٠ الصـورتان متجاورتان فوق الحـائط ٠٠ لا فارق كبير بينهما ٠٠ تأملهما معـا ٠٠ واحدة ذات اطـار مذهب ٠٠ والأخـرى عارية من كل رونق ٠

قبيل حلول الفجر هبط الى الطريق ٠٠ المقهى يفتح أبوابه ٠٠ فى ركنه تحت النـافذة جلس فى تراخ ٠٠ سأل النادل :

ـ هل رأيت برهان ؟٠

قال النادل :

ـ لم يظهر بعد ٠

لايـدرى كم من الوقت مـر وهـو يترقب ظهور برهان ٠٠ انتصف النهار ٠٠ لم يع برواد المقهى الذين

راحـوا يثرثرون ·· وبدأت الشمس تلطف من حـدة برودة الظهيرة ·· ولكن هاهى ذى عربة تدنوا من اطار النافذة ·· قفز هامسا :

ـ آخيرا جاء برهان ·

حين دنا من الرجل لم يكن هـو برهان ·· توقف مرتبكا أمام العربة فتساءل الرجل :

ـ أتحتاج شيئا ؟·

ألفى نفسه يقول :

ـ ابحث عن اطار مناسب ·

قال الرجل :

ـ لا مساومة ·

سحب من جوف العربة اطارا ·· تناوله فى قلق ·· قبل أن ينتبه لوجود صورة خلف زجاج الاطار كان الرجل قد سحب عـربته مبتعدا ·· هاهى ذى صـورة أخرى لى ·· صاح فى رعب خلف الرجل ··

هتف الرجل فى غضب :

ـ لماذا لاتنادينى باسمى ؟·

قال :

ـ لا أعرفك من قبل ٠

فقال الرجل :

ـ كيف لاتعرفنى ٠٠؟٠٠ أنا برهان ٠

بهت ٠٠ تراجع الى الخلف ٠٠ لم يكن الرجل شبيها لبرهان الذى يعرفه جيدا ٠٠ ارتد الى الخلف فى فزع ٠٠ ووقف يحدق فى الرجل فى ذهول بالغ ٠

زحفت الريبة على صدره ٠٠ لم يزل يعدو خلف كل بائع روبابيكيا ٠٠ ان فى الآمر شيئا ما ٠٠٠ هناك مكيدة حتما ٠٠ ماذا يدبر الأولاد لى ؟٠

ـ أمعك اطار مناسب ؟٠

ـ عندى كل ماتطلب ٠

ـ أرنى ماعندك ٠

التفت الى الصورة القابعة فى صمت خلف زجاج الاطار ٠٠ هذا شبيه لى تماما ٠٠ لا خلاف :

ـ من آى مكان حصلت على هذه الصورة ؟٠

قال بائع الروبابيكيا فى غضب :

ـ أتحقيق هذا ؟٠

فقال فى ريبة :

ـ ماسمك ؟٠

قال الرجل فى حنق ظاهر :

ـ برهان ٠

هذه مكيدة لاشك ٠

كادت تغطى الصور جدران الحوائط ٠٠ يتلفت الى هـذه وتلك ٠٠ مـاذا يدبر لى ٠٠ لو أعثر على برهان الحقيقى ٠٠ قال النادل :

ـ لم يظهر بعد ٠

ولكن أحدا همس من خلف النافذة :

ـ أتحتاجنى ؟٠

قام كالملسوع :

ـ برهان ٠٠ أين كنت ؟!٠

قال :

ـ كنت أبحث لك عن اطار جديد ٠

وقــذف اليه باطار آخــر ·· تلقفه ·· حدق فى داخله ·· صورة أخرى له ·· هم بالنهوض ·· كان برهان قد اختفى من خلف اطار النافذة الوحيدة · طوح بالاطار ·· تناثر حطامه حول أرجل المقاعد والمناضد ·· وهرع الى الطريق يصيح بصوت حائر خلف لاشيء :

ـ برهان ·· انتظر ·

حكاية اختفاء النص

هرول الصبى فى فزع •• تلقفته أمه بين ذراعيها :

ـ ماذا بك ؟•

تلعثمت كلماته :

ـ عاد ياأمى •

ربتت على ظهره •• توجس قلبها خيفة :

ـ لاتجزع •• أنت بين ذراعى •

جحظت عيناه ذعرا :

ـ لكنه عاد •

طردت هواجسها بعيدا :

ـ أرأيته حقا ؟•

ـ فوق السطح •

قالت وقد ارتبك لسانها :

ـ نهيتك عن الصعود الى السطح •

ـ قد يبتلع كل شيء ٠

ـ لاتخف ٠٠ سندعو النص حالا ٠

ـ ١ ـ

لايدرى أحد أى ريح قذفت به الى الحارة ٠٠ وجدوه بينهم رث الثياب ٠٠ كالح الوجه ٠٠ أوغل فى الحوارى والأزقة ٠٠ عابث الأطفال ٠٠ عابثوه ٠٠ قذفوا اليه بفتات طعامهم ٠٠ وتحت المصباح الكابى جلس يزدرد لقيماته فى نهم ٠

حمد الله واستطابت له الحارة وأهلها ٠٠ قدم له شيخ الحارة عباءته القديمة ٠٠ فرح بها ٠٠ جاب الحوارى وهو يعرضها على الجميع ٠٠ ظنوه وهو مقبل من بعيد شيخ حارتهم ٠٠ تسبقه صيحاته المبهمة ٠٠

تساءل الصبية من أى مكان هبط عليهم ٠٠ لم يجدوا اجابة لتساؤلهم ٠٠ ولكنهم آلفوا وجوده بينهم صباحا ومساء ٠٠ سمحوا له باللعب معهم ٠٠ كان قصير القامة ٠٠ فناداه أحدهم متندرا :

ـ تعال يانص ٠

ابتسم وشاع النص بينهم ·· واستطاب لقبه الجديد له ·· وراح يرقص فى زهو صبيانى ··

دثرت الأم ولدها وتنهدت :

ـ انك لم تر عينيه بعد هبوطه من فوق السطح ·

ـ ربما تكون أوهاما ·

ـ قلبى يحدثنى أنه رآه بحق ·

ـ هل ذعرت الطيور ؟·

ـ نزل عليها صمت غريب ·

تذكر أنه لم يسمع صياحها عند الفجر ·

ـ لم أسمع آذانها ·

ـ وأنا لم أنتبه ·· هل أذنت أم لا ·

قال مرتابا :

ـ هل تظنين أنه رآه ؟·

ـ ولدى لايكذب ·

ـ لماذا لم تستدع النص ·؟·

ـ فعلت ·

ـ أجاء ؟ ·· هل استطاع أن يطرده ؟·

قالت الأم فى قلق :

ـ لم نعثر عليه بعد ·

ـ اذن فرؤية الولد خادعة ·

ـ ولدى لايكذب ·· لم نعثر على النص ·

ثم استطردت بصوت يائس :

ـ لقد اختفى ·

ـ ٢ ـ

فى الصيف دثرته السماء ·· والتحف عباءة شيخ الحارة ·· آوته كل الزوايا والأركان ·· لم ينهره أحد ·· نام فى الدهليز والخبايا الآمنة ·· باح له الجميع بأدق أسرارهم وهو يعيرهم أذنيه ·· يربت على الظهور بحنان ويعدو نحو لاشىء ··

قالت الأم :

ـ رأيت واحدا أم اثنين ؟·

رد الصبى :

ـ لم أر الا عينين تبرقان ·

قال الأب :

ـ لابد أن نتأكد من وجوده أولا ٠

ـ وذلك الأبله اختفى من الحارة ٠

قال الصبى :

ـ أسنتركه يلتهم كل شىء ٠

ـ بدونه لن نستطيع طرده ٠

صاح الصبى متسائلا :

ـ لماذا لاتطرده أنت ياأبى ؟٠

ارتبك الرجل ٠٠ قال :

ـ كيف أواجهه وحدى ؟٠

تصاغر الأب فى عينيه وهمس :

ـ أيفعل الأبله مالايستطيع أحد أن يفعله ؟٠

وازدرد الرجل ريقه وزاغت نظرات الأم ٠٠

ـ ٣ ـ

منذ وقت بعيد تهاوى آحد بيوت الحارة ٠٠ تهدم ٠٠
كان خاليا قبل انهيـاره ٠٠ غـادره أهلوه منذ لاحظوا

اهتزازه الدائم وتصدع جدرانه ·· لم يفكر آحد فى بنائه من جديد ·· فظل أنقاضا يعبث بها الصبية ·

بين أنقاضه استقر جسد النص ·· بنى له تعريشة من سعف النخيل والصفائح ·· فى الشتاء حين تسقط الأمطار تظل تطرق الصفائح فى عنف ·· يبتسم النص ويقف عند الباب ليراقب المطر ·

سأله أحد الصبية :

ـ أنت دائم الابتسام يانص ·

واتسعت ابتسامته بلا مبرر ·

قال شيخ الحارة :

ـ لن نتأكد من وجوده ·

قال الأب :

ـ لن يفعل هذا سوى النص ·

صاح فى رجل يقف عند الباب :

ـ أبحثت عنه جيدا ؟·

ـ كأن الأرض انشقت وبلعته ·

قال شيخ الحارة :

ــ يجب أن نتأكد من وجوده أولا ثم نتأكد هل هو أنثى أم ذكر ٠

هتف الرجل الواقف عند الباب :

ــ الأنثى أشد شراسة ٠

همس شيخ الحارة :

ــ ان وجد الذكر فحتما ستوجد الأنثى ٠

ثم زعق في الرجل الواقف عند الباب :

ــ اذهب وآتني بالنص من تحت الأرض ٠

ــ ٤ ــ

ادعى أحد كهول الحارة بأنه يعرف النص تماما ٠٠ يقول أنه الوحيد الذى باح له النص بأسراره ٠٠ عرف من هو ومن أين أتى ٠٠ ولكن النص استحلفه ألا يبوح بقصته لأحد ٠

وتحت الحاحهم قال بأنه جاء من مكان بعيد ٠٠ ربما يكون من الأرض الطاهرة أو من السماء ٠٠ وأكد لهم أنه رآه داخل تعريشته يصلى ويغمغم بكلمات غير مفهومة ٠٠ وأقسم بأنه قد هبط من السماء وأنه رجل صالح

تقى ورع .. وسيجلب كل الخير للحارة وأهلها ..
فأبشروا أيها الناس لقد عوض الله حارتنا كل الخير .

وصاح أحد الصبية :

ـ هذا الأبله هبط من السماء ؟.

وسخروا من الكهل .

استيقظ شيخ الحارة فزعا تحت وابل من الطرقات الشديدة على بابه .. فتح الباب .. اقتحمت امرأة البيت وانحطت على الأرض تلطم خديها ..

ـ ماذا حدث ؟.

ـ رأيته .

وراحت تضرب رأسها ..

ـ أنت أيضا .. أين ؟.

ـ فى عشة الطيور .

ـ أمتأكدة .

ـ لقد بحلق بعينيه فى وجهى .

ضرب كفا بكف وهتف :

ـ هذه مصيبة بحق .

ـ ٥ ـ

ذات يوم دوت فى الحارة صرخة حادة وتجمع أهل الحارة حول امرأة تحمل ولدها وتعوى عواء شديدا ٠٠

ـ لدغه أحدهم ٠

تساءل أحد الرجال :

ـ أين ؟٠

ـ بالقرب من البيت المتهدم ٠

برز لهم النص مبتسما وراح يلوح بيديه ٠٠ نهره أهل الحارة ولكنه اتجه صوت المكان الذى حددته المرأة الثكلى ٠٠ لم تمض دقائق حتى خـرج النص يحمل بين يديه شيئا ناعمـا رقيقـا ٠٠ بهت الجميع وأدركوا أن النص رجل مبارك ٠٠ وأن كلمات الرجـل الكهل عنه صادقة ٠٠ فأدخلوه بيوتهم وجلس الى مـوائدهم يأكل معهم فى صمت ٠

قال شيخ الحارة :

ـ كيف حدث هذا ؟٠

ـ لقد رفض الناس أن يدخلوا بيوتهم ٠

ـ يجب أن نبحث عن حل ٠

ـ بنوا لهم أكواخا من الصاج والخشب فى الأزقة والحوارى ٠

ـ وبيوتهم ؟٠

ـ غادروها ولن يفكر أحدهم فى الاقتراب منها ٠

وصفق بيديه في يأس ٠

ـ ٦ ـ

عند باب التعريشة رأى الصبية النص وهو جالس فوق كتلة من الحجر الضخم حوله كلاب كثيرة ٠٠ نبحت في شدة وراحت تعض يده فى مداعبة ٠٠ أشار لها فاستكانت وشملها صمت مخيف ٠٠ وقف النص وأشار بيده فجرت هنا وهناك ثم اختفت تماما ٠٠ ابتسم النص ٠٠ وقال الصبية لأنفسهم أى مقدرة تلك التى تجعل اشارة من يد النص تجمع وتفرق هذه الكلاب ؟٠٠ وقصوا لأمهاتهم وآبائهم ماآروه عند باب التعريشة فبسملت الأمهات وقالوا هذا والله ولى من آولياء الله الصالحين ٠

ـ لم نعثر له على أثر ٠

قال شيخ الحارة :

ـ انى والله أشتم رائحة جريمة ٠

ـ لا أعداء للنص ٠٠ الجميع يحبونه ٠

ـ ربما ضجر بالحارة وأهلها ٠

وقال أحد الرجال المتجمعين حول شيخ الحارة :

ـ لقد اختفى مثلما هبط حارتنا تماما ٠

ـ ٧ ـ

شىء غريب ذلك الذى رآه الصبية ٠٠ النص يتربع فوق الكتلة الحجرية بجوار باب تعريشته ٠٠ وهناك أشياء ملساء وناعمة تزحف بين ساقيه وحوله الكتلة الحجرية ٠٠ وهو يقذف بأشياء دقيقة أمامه فتتجمع الأشياء الملساء لتلتهم ماقذفه اليها ٠٠ وظل يبتسم ٠٠ وأكد بعضهم أنه كان يضحك بصوت عال ٠٠

قال المسئول الكبير :

ـ لاتفكر فى اختفاء النص ٠٠ يجب أن نعثر على حل للقضاء على هذه الأشياء ٠

قال شيخ الحارة فى يأس مرير :

ـ حاولنا ولم نستطع أن نفعل شيئا ٠٠ انها سريعة الظهور والاختفاء ٠

ـ فلنلق فى طريقها ببعض الطيور المسمومة ٠

ـ لقد ابتلعت كل طيور الحارة ٠

قال الرجل الواقف عند الباب :

ـ ليس أمامنا الا أن نهدم الحارة فوق رؤوسها ٠

ضحك المسئول الكبير وقال لشيخ الحارة :

ـ ماذا تفعل لو رأيت احداها فى حجرات بيتك ٠

صاح شيخ الحارة دون تردد :

ـ سأهجر البيت ولن أعود اليه ٠

ضحك المسئول الكبير من أعماق قلبه ونظر الى الجميع بلا معنى ٠

وحتى هذه اللحظة لم يستطع أحد أن يجلى ذلك الغموض حول اختفاء النص ٠٠ هل اختفى ضجرا من الحارة وأهلها ٠٠ هل قتله أحد ٠٠ هل دسوا له السم ؟٠٠ وتساءلوا ما الدافع وآين الجثة ٠٠ وزعق شيخ الحارة فى غضب ٠

ـ اقلبوا الأرض رآسا على عقب ٠٠ يجب العثور على النص بأية وسيلة ٠

حين انطلق الرجـال يبحثون فى أنقـاض البيت المتهدم وداخل التعريشة ٠٠ وجـدوا عبـاءة قديمة ومهترئة ملقاة فوق الكتلة الحجرية بجوار باب التعريشة ٠٠ وحين حملوها الى شيخ الحارة هتف غير مصدق :

ـ عباءتي ٠٠٠

طقوس البيت الشاحب

فى دفعة قوية انشق الباب عنهم .. تهاوت قشرة السقف فأطلقت فى الحجـرة رذاذها الجـيرى .. لملمت ذعرها واحتمت بجسدى العارى .. دست نفسـها بين ذراعى .. غرست عينين متسائلتين فى وجهى .. تاهت الأشياء وراء غيمة الرذاذ المتساقط من قشرة السقف .. وضاعت ملامح الوجوه المشرئبة من الباب المتداعى .. أحسست بأظـافر أصـابعها المتـآكلة تنغرز بعنف فى ظهرى .. لم أستطع النهوض .. كانت متشبثة بجسدى النحيف تحتمى به من تلك العيون الثاقبة عند الباب ..

حين رفع فنجان القهوة الى شفتيه لمح شيئا غريبا حين أمالت رأسها جانبا لمحت قطـرات من الدمع تبرق تحت وميض المصـباح المعلق فوق رأسـينا .. ارتخت أوصالها .. دق قلبى .. وشعرت بارتجافة تهز لهـا أصابع يدى وأنا أضم جسدها المرتعش .. غامت عيناى

نشرت فى الكاتب العدد ١٥ ، ١٦ ، مارس ابريل ١٩٧٩

·· وتحطم كل شىء ·· تدافعوا داخل الحجرة ·· رأيت أقدامهم تلتف حولنا ·· من وراء ظهرى امتدت أيديهم تجذبنى بقسوة ·· انتفضت مذعـورة ·· جرت فى أركان الحجرة الأربعة عارية تماما ·· تفر من الأيـدى الممتدة نحوها ·· فى تخاذل جرجرت سـاقى المهشـمة العظام وأنا آفرد لها معطفى القديم ·· اندفعت اليـه وغاصت فى صدرى ·· أحطت جسدها المنتفض بمعطفى المهترىء ·· بكت ·· وكادت تعول ·· جرتها الأيدى نحو الباب ·· أبصرت صاحب البيت ·· رنوت اليه فى توسل عله يدفع عنا هؤلاء القساة ·· لكنه نظر الى فى شراسة ·· وبصق على وجهينا ·· قادونا الى الخارج ·· نتعثر فى عرينا ·

فى صوت رخيم قالت أمى :

ـ لاتخف هذا العالم ·· فالعالم ملكك ·

تفتح قلبى الصغير لكلماتها ·· شعرت آنى أمتلك حقيقة هذا الكون فى قبضة يدى الصغيرة ··

ـ لايرهبك أن تكون وحيدا ·· أمثالك كثيرون على وجه الأرض ·

ضمتني اليها فارتفعت الى أنفى رائحة عرقها الطيب ·· وابتسمت لى ·

فتحت الباب ·· كان الطارق صاحب هذا الوجه المجدور ·· يخطو بطوات ثابتة دخل حجرتى ·· ابتسم تلك الابتسامة المقيتة ·· أدركت لماذا قادته قدماه الى هنا ··

ـ آكنت نائما ؟·

لم أرد ·· نظرت اليه وهو يذرع بلاط الحجرة ·

ـ أريدك فى مهمة سرية ·

يتقلص قلبى دائما كلما ذكر مهامه السرية ·

ـ فلتعثر لى على امرأة ·

أخيرا ·· لم أتمالك الا آن تجلب النساء لهذه البطون المنتفخة ·· وساقك المهشمة العظام ذكرى تلك الأيام الماضية ·· يمتلكك هذا الرجل المجدور الوجه ·· فكيف لا أخافك أيها العالم ·· وأنت تتساقط من بين أصابعى كل يوم ·· تنكمش أحلامك ·· ويموت ذلك الفرح الطاغى داخلك ·· وأملك اليومى فى أن ترى هذا الوجه الشاحب يؤنس وحدة حجرتك الباردة ·· تدفىء أنفاسها جنبات الحجرة ·· تنام على بساط أحلامك

البعيدة ·· وأخرج الى ظلمات الطريق أبحث عن امرأة يبثها رغباته الدفينة ···

ويدى تحت رشاش الماء المندفع من الصنبور لمست يديها وهما يقومان بغسيل الأطبـاق ·· ارتجفت ·· وسـحبت يـدى فى سرعة ·· لاحظت ذلك فانطلقت أسارير وجهها ببشر غريب ·· كدت أتأسف لها ·· أقبلت نحوى ·· رفعت يدى بيدها ·· وأطبقت عليها بقوة ·· زغرد قلبى ·· لم تلمس يدى أنثى منذ سنوات بعيدة ·· لم تلمس الا يـد أمى ·· تلك اللمسات لهـا طعم غريب ·· منذ هذه اللحظة صرت أحوم حولها واكتشفت مصادفة أن عينى الرجل المجدور الوجه تلاحقانها ·· قلت لها :

ـ صاحب المحل ينظر اليك ·

استفسرت عما أقصد ··

ـ حين تنحنين لتمسحى الأرض ·· يثبت نظراته على ساقيك المكشوفتين ·

ضحكت وشدت على يدى :

ـ لن أكشف ساقى مرة أخرى ·

هاهى كل العيون تنظر اليك ·· وأنت تحـاولين فى خطواتك المتعثرة أن تخفى لحم جسدك ·· حذار أن تسقطى الى الأرض فيتعرى جسدك مرة أخرى وتلتهمك العيون الجشعة ·· لن ترفع العيـون عنك ·· ستنتهك مقدسات ذلك الجسد الطـاهر ·· يأتينى آنينك الخافت وأنا خلفك تشدنى أيدى غليظة ·

رحت أجرجر قدمى المهشـمة العظام وراءها ·· خطواتها على درجات السلم تصدر صوتا يتردد فى رأسى ·· سرت فى جسـدى قشـعريرة ·· بلعت ريقى ·· ودفنت ذلك الاحساس الذى تولد فجأة ·· هنا ليس لك حق أن تعيش مثل هؤلاء ·· لاتشتهى امرأة ·· لاترفع عينيك عن قدمك ·· دائما عالق العينين بثرى الأرض ·· ولكن رغبتى التى تيقظت ظلت تؤرقنى طوال الليل ·· وأنا أترقب هبوطها كان الهـواء البـارد ينسل من ثقوب معطفى ·· ينخر فى العظام المتآكلة ·· رغم ذلك لم تمت تلك الرغبة ·· سمعت خطواتها ·· أطللت من باب حجـرتى ·· لمحتنى ·· دنوت منهـا ·· تلعثمت قائلا :

ــ ألا تدخلين ؟·

قالت :

ـ أين ؟٠

ـ حجرتى ٠

ـ وماذا أصنع ؟٠

أشرت الى أعلى ٠٠ أدركت ماأرمى اليه ٠٠ قبل أن تفوه بكلمة قلت :

ـ معى مبلغ من المال ٠٠ لكنه يكفى ٠

فى سرعة طوحت يدها ولطمتنى على وجهى ٠٠ لم أع شيئا لكنى سمعتها تهمس :

ـ لم يبق الا أنت ؟٠٠

فى فرح غامر وعلى الأرض العارية التصقت بى٠٠ ضمت خصرى بيدها ٠٠ هل حقيقة سأمتلك شيئا ٠٠ أمثالك كثيرون ٠٠ ربما تكون تلك الأنثى تشعر أنها تمتلك شيئا هى الأخرى ٠٠ وأن هـذا العالم يعود الى يديها من جديد ٠٠ أحسست بنعومة جسدها وأنا ملتصق بها ٠٠ قبل أن تميل الى وجهى لتقبلنى حدقت فى الباب المفتوح حيث الرجل المجدور الوجه ٠٠ أذابتنى قبلتها وتقافز قلبى أخيرا ٠٠

قالت فى بساطتها المعهودة :

ـ أحبك ياصاحب الساق المهشمة ·

لمست ساقى كانت ممدودة أمامى بلا حراك ·

لا أدرى من أين أتى كل هــؤلاء البشر ·· وقــد تجمعوا حولنا امتلأت بهم الطرق ·· وكنت وأنا نقطتين عاريتين فى قلب هذا الجمع الغريب ·

قالت :

ـ منذ أعوام سقطت من فوق سقالة ·

قالت :

ـ أكنت عامل بناء ؟·

قلت :

ـ كان جسدى ضعيفا فلم أحتمل ·

قالت :

ـ سقطت على ساقك ؟·

قلت :

ـ عاقتنى أعمال كثيرة ·

قالت :

ـ وهذا الرجل صاحب المحل ••؟

قلت :

ـ كان يعاملنى بلطف •• أشترى له الخضر وفى بعض الأحيان أقوم بغسل الأطباق •

قالت :

ـ أنت محظوظ •

قلت :

ـ محظوظ بك •

بدا القلق واضحا على وجهه المجدور •• كان متجهما •• قال :

ـ الآن أريدك أن تحضرها لى •

فى تلعثم قلت :

ـ من ؟•

هتف فى غيظ :

ـ غاسلة الأطباق •

ذعرت •• صحت فى وجهه :

ـ غير معقول ٠

قال وهو يضرب المنضدة براحته الضخمة :

ـ هى المرأة التى أريدها ٠

عاودت أقول من جديد :

ـ غير معقول ٠

صاح فى غضب :

ـ لاتستغفلنى أيهـا الأعـرج ٠٠ رأيتها تدخل حجرتك القذرة ٠

قلت فى ألم :

ـ اتركها لى ٠

هدر صائحا :

ـ تتمنع على هذه النتنة ٠

قلت فى توسل :

ـ هى امرأتى ٠

لوح بيده فى وجهى :

ـ حتى أنت أيها الأعرج ٠

كبحت دمعى ٠٠ وانزويت فى الركن :

ـ لكنى لن أحضرها لك ٠

رأيته يخرج بهامته الضخمة ٠٠ وكتمت فى صدرى صيحة :

ـ اللعنة ٠

ـ لاتخف هذا العالم ٠٠ فالعالم ملكك ٠

فى الطريق شتمنا الأطفال ٠٠ قذفونا بالأحجار ٠٠ بصقوا على وجهينا ٠٠ تعثرنا ٠٠ لم تستطع أن ترفع دمعاتها المتساقطة ٠

دفنت رأسها فى وجه الأرض ٠

٠٠ وكنت عاريا ٠٠ وكانت عارية ٠٠٠٠

النبش على الحوائط الصماء

بين تلك الجدران تلمست أنغامه الطريق الى الخارج ‥ تردد صداها قويا يقتلع جذور الثبات فى قلبه ‥ فدق بعنف يده بالساق الطويلة على أوتار الكمان ‥ ينسى وجوده ويتقوقع داخل ايقاعات الأوتار الحالمة ‥ فلتعزف فى قلب هذه الحجرة الضيقة ‥ لتقف هنا وحيدا وكمانك القديم تتناغيان ‥ تشكى همك ‥ وتنطلق الأنغام تتجاوب مع آهاتك الأليمة ‥ ورغم كل مايحدث تقفين وحدك معى ‥ تطلبين أن أعزف طوال الليل ‥ أضم كمانى فى صدرى وأعزف ‥ وأعزف ‥ وأعزف ‥

ويتألق وجهك الشاحب ‥ يفيض قلبى بالفرح الغامض ‥ تنفرج شفتاك ويدى تمد القوس على الأوتار ‥ فيرتج الصمت القابع فى طرقات الليل ‥ تندمج مع دفقات الهواء ‥ ترطم ضلفة النافذة العالية ‥

جريدة الأهرام ١٩٨١/٢/١٢

تخدش أنغامى المنسابة ·· من بين المســاحات العارية للنافذة يغزو الحجرة ضوء واهن ·· لا ·· فلتكف يدك الممدودة دائما الى وجهى ·· أنا رغم حرصك على تمزيق أوتارى أشدو حين تخلو الحجرات من ظلك القاتم ··

همست وهى تمد يدها الخشنة تحت ثيابى :

ـ أعزف كثيرا ·

وأنا أقاوم دمعة تلح على مغالق عينى قلت :

ـ دائما تطلبين سماعى ·

يصرخ أبى فى وجه أمى المرتعب :

ـ ماعسانى أفعل مع هذا العاق ··

تتقلص أمى وتدفن وجهها بين نهديها ··

يضج أبى حانقا :

ـ سأكسر كمانه ·

ينكسر قلبى ·· ويغص مكانى بظلام حالك ··
تمتد يد أمى خفية فى عينى ذلك الرابض وراءنا ··
تحــاول أن تبتســم ·· تســتيقظ تباشــير الآلق فى صدرى ·

ـ فلتكف عن العزف ·

وفوق دثار الفراش الكابى عند الركن ٠٠ تتلمس أصابعها جسدى ٠٠ وتغمرني بأنفاسها ٠

فى بطء وطأت أرض الصالة الكبيرة ٠٠ وجدته يجلس بين جماعة من الرجال والنساء ٠٠ يثرثر بكلمات مبهمة ٠٠ يضحك البعض ٠٠ دنوت منه ٠٠ ربت على كتفه ٠٠ رفع الى عينيه :

ـ أنت ؟٠

ابتلعت كلماتي ٠٠ قال فى ضيق :

ـ جئت مرة أخرى ٠

قلت :

ـ كمانى معى ٠

فقال :

ـ قلت لك مرارا أنت لاتصلح ٠

قلت :

ـ اسمعنى مرة ثانية ٠

قال :

ـ لا ٠

أدرت له ظهرى ٠٠ لمحت عنـد الباب عينيها ٠٠

صعدت النظرات فى جسدى ٠٠ ارتبكت ٠٠ همست فى صوت ناعم :

ــ ابق لتستريح قليلا ٠

وحين احتوانى المقعد بكيت ٠٠

قالت :

ــ أنت عازف بارع ٠

قال أبى :

ــ لن تصلح لشىء ٠

لأول مرة صرخت فى وجهه :

ــ أنا عندى الكثير ليقال ٠

قال :

ــ أنت فارغ ٠

تمسحت يدها بيدى ٠٠ قالت :

ــ أعشق الموسيقى ٠

قلت :

ــ هذا عصر ماتت فيه الموسيقى ٠

قالت :

ــ أتستطيع أن تعزف لى ؟٠

قلت فى سرور :

ـ أستطيع :

قالت :

ـ تعال معى لتعزف لى ٠

قلت :

ـ أين ؟٠

قالت :

ـ فى حجرتى المتواضعة ٠

عزفت تلك الليلة ٠٠ وقبل أن يوغل الليـل ٠٠ سحبت منى القوس فى لطف ٠٠ نحته جانبا ٠٠

ـ فلتبق حتى الصباح ٠

قلت :

ـ ألن أعزف ؟٠

قالت وهى تبتسم :

فى الصباح واصل عزفك ٠

وجدتها تخلع ثيابهـا ٠٠ لم تترك الرعب يشـكل قسمات وجهى ٠٠ ضمتنى فى حضـنها وقادتنى حيث الفراش ٠٠ وأطفأت المصباح ٠٠

وعدتنى فى ليلة أخرى أن تقـدمنى لأحـدهم ..
قلت :

ـ ابراهيم النوبى .

قال :

ـ ليس للأسماء هنا معنى .

لطمنى أبى قائلا :

ـ الى متى تظن أن لك شأنا .

قال الرجل :

ـ العازفون هنا بالأرقام .

قلت :

ـ وما رقمى ؟ .

قال :

ـ لو اجتزت اختباراتى سنعطيك رقما .

وحملت رقمى معى .. خلف جمـوع العـازفين انتصبت أحمل كمانى بلا أوتار حيث مزقها الرجل ..
قال :

ـ تحرك وكأنك تعزف .

وفى الخلف كنت أحرك قوسى فوق كمان بلا أوتار .

لم أكن أدرى مـاذا يحدث ‥ جاءتنى مـرة ثانية تتثنى أمامى شبه عارية ‥ قالت :

ـ دعك من العزف كل مساء •

ذعرت وصحت فيها :

ـ أنت تعشقين عزفى •

قالت :

ـ يالك من غبى ‥ أنا أعشقك أنت •

قلت :

ـ ألا تذكرين كلماتك ؟•

قالت وهى تطوق خصرى :

ـ حيلة أجتذبك بها •

تغضن هذا القلب المتوثب دائما •

ـ وعز فى طوال هذه الليالى ؟•

قالت :

ـ كنت أنتظر أن تكف عن العزف بفارغ الصبر •

ولطمتها على صدغها •

خذونى مرة أخرى ٠٠ قالوا :

ـ أقنعنا بأنك عازف بارع ٠

كان كمانى مقطـوع الأوتار ٠٠ رنوت اليهم ٠٠
ووقفت أعزف بلا صوت ٠٠

قالت :

ـ دعك من هذه الخرافات وكن كالجميع ٠

قلت :

ـ لم أعد أتذكر اسمى ٠

قالت :

ـ مايجديك ابراهيم النوبى ؟٠

قلت :

ـ جزء من كيانى ٠

قالت :

ـ تعود لترهاتك ٠

قلت :

ـ لماذا تحاولون طمس كيانى ؟٠

قالت :

ـ أيها الأبله حافظ على مايسد رمقك ٠

طأطأت رأسى وطوتنى فى أحضانها ٠٠

يارقمى الباهت ·· دفنت كل آمالى فى قبور الرياء ·· عـازف أنت وبارع ·· مارقمك ·· لم تكن ولن تكون الا رقما خلف كل الأرقام ·· النوبى هو جدك ·· لم يعد له وجود ·· طمسوا ملامحه ·· وفقدت ملامحى تعابيرها القديمة ·· وهذه المرأة التى تلتهمنى طـوال الليالى ·· تصر أن أعـزف لهـا لكى تسـتبقينى فى فراشها ··

ذات مساء ·· وقفت خلفهم لأعزف معهم ·· بهت الرجل حين وجد الأوتار عالقة بالكمان ·· هاج وبصق فى وجهى ·· قال :

ـ أنت تعصانا ·

قلت :

ـ أنا أعزف حقيقيا ·

قال :

ـ كن كما نريدك نحن ·

قلت فى ضيق :

ـ لن تستطيع محو ابراهيم النوبى بأرقامك ·

وفى الطرقات ·· رحت أعزف تحت الأقبية ·· وفى الحوارى الضيقة وأنا أخط حـروف النـوبى على

الجدران العالية ·· وفى الصباح جرونى الى حجرة مظلمة تآكلت جدرانها ·· قالوا :

ـ لقد أقلقت صفاء الطرقات ·

أمام عينى كسروا كمانى ·· أشعلوا النار فى أخشابه ·· وفى الحجرة لم يمت صوتى ·· بفمى كنت أشدو وأسطر حروفى فوق كل بقعة من جدران الحجرة المظلمة ··

السقوط تحت الأقواس

ذات صباح فى الساحة القديمة ٠٠ حطت مجموعة من رجال البناء رحالها ٠٠ وجوههم السمراء جامدة الأسارير ٠٠ انزلوا فؤوسهم ومعاولهم الى أرض الساحة ٠٠ فى هبوطها لأسفل التقطت بعض زواياها أشعة شمس الصباح فبرقت ٠٠ على الأعناق والجباه ٠٠ التمعت قطرات العرق المنسابة كقطع البللور ٠٠ رفعت الأيدى القاسية تمسح عن الجباه عرق الاجهاد ولتبدأ فى راحة كاذبة ٠٠

قال من رأى ذلك المشهد :

ـ ترى ماذا يحدث ؟٠

قال آخر يشاركه التساؤل :

ـ أعتقد أنهم سيبنون عمارة ٠

هتف ثالث :

ـ لاتصلح هذه الساحة لاقامة عمارة ٠

مجلة القصة العدد ٢٩ يوليو ١٩٨١

قال أحدهم :

ـ فلنر ماعساهم يصنعون ٠

فى البدء كانت الحـركة دؤوبة ٠٠ راح رجال البناء ينثرون الرمـال والزلط والأسـمنت فى آكوام عالية ليخلطوها بالماء ٠٠ وبعض مهنـدمى الثياب يبسطون مقاييسهم على أرض الساحة ٠٠ يخططون الأرض بالجير ويحددون الأبعاد ٠٠ وآلات الحفر الضخمة تترقب دورها للمساهمة فى هذا البناء ٠

تردد فى الساحة كلام كثير ٠٠ قال البعض أن هناك مشروعا ضخما سيقام ٠٠ لكنهم كانوا يجهلون فحوى هذا المشروع ٠٠ وحول الموائد الصغيرة تتناثر الكلمات الهـامسة ٠٠ تبنى من وهمها أحـلاما عظيمة ٠٠ وحين تغلبهم أوهامهم يرين على الساحة صمت كئيب ٠

ارتفع البناء ٠٠ طال السماء ٠٠ لكنه كان غريبا على الساحة القديمة ٠٠ أعمدة تتخذ أشكالا مدببة تشق

السحاب .. وقد كسى البناء من الخارج أقمشة مزخرفة الأهاب .

فى صباح آخر وعلى امتداد الساحة الطويلة .. كان عمال آخرون يشدون على أعمدة الساحة لافتات، تبرق فيها كلمات بألوان زاهية .. ولاحظ أهل الساحة أن ساحتهم القديمة صـارت كرنفـالا من الأوراق الملونة والأقمشة الصاخبة الهفهافة ..

● **حارس البناء :**

لماذا وقع اختيارهم على ؟..

قالوا اننى أحد أبناء الساحة فهذا يسهل مأموريتى .. والبناء ضخم وعظيم .. حقيقة عظيم هذا البناء .. يبدو على بعد كشىء خرافى .. أنا الوحيد المكلف بحراسته .. فأنا أحد أبناء الساحة .. أعرف خباياها .. كما أعرف فى تلك اللحظة من المسـاء ماذا يتناول أهل الساحة من عشاء .. ثم بعـد اسـترخاء يعتلون الأسرة .. ان جميع أسرة الساحة تصدر أصواتا حين تعتليها الأجساد المنهكة .. فى صمت الساحة يقبع هذا العملاق وحيدا .. من تلك الأركان الكثيرة التى يبدو

الظلام فيها طلسما ·· حين أرفــع عينى اليه تدب فى قلبى رهبة ·· أحس أن آلاف العيون ترنو لى من كل ثقب فيه ·· لكن أنا حارسك أيها العملاق الضخم ·· فلا تبث الخوف فى قلبى ··

● من أقوال جريدة الصباح : ـ

قالت جريدة من مصدر موثوق به ·· أن ذلك البناء شرع فى تنفيذه منذ أعوام طويلة ·· لكن الظروف التى تمر بنا اليوم حالت دون هذا ·· وقد أسند هذا المشروع لشركة مقاولات كبيرة رسا عليها العطاء ·· ففى العطاء المقدم منها كانت التكاليف غير باهظة وهى تقل مليونا من الجنيهات عن عطاء آخر لشركة منافسة ·

كما قالت الجريدة أن الشركة الأخرى قدمت شكوى الى أحد المسئولين تقول ان هنــاك من ساعد على ارساء هذا العطاء الى تلك الشركة ·

كما تشك أيضا فى أن عطاء الشركة المنفذة يقل عن عطائها مليونا من الجنيهات ·· فهذا غير معقول لأن الأسعار الدولية تكاد تكون قريبة وهى فى حالة ارتفاع

متزايد ٠٠ هـذا ممـا يثبت أن الشركة لم تخش الله وقدمت للمشروع مواد غير صالحة للبناء ٠

قالت الزوجة :

ــ خبرني ٠٠ ماهذا الذى تقوم بحراسته ؟٠

تململ الزواج ٠٠ وتعثر لسانه ٠٠ قال :

ــ البناء الجديد ٠

قالت :

ــ هل سنقيم فيه بدلا من هذا الجحر ؟٠

قال الزوج :

ــ هذا البناء لايسكن ٠

قالت الزوجة فى شبه ضيق :

ــ وماحاجتنا اليه ٠٠ نحن نريد مكانا يأوى اليه أولادنا ٠٠

قال الزوج وهو يلهث :

ــ هذا تذكار ياامرأة ٠

ــ لماذا يبنونه فى ساحتنا ٠

قال ضائقا :

ـ أنت تسألين كثيرا ٠

قالت :

ـ أنت دائما لاتجيب على أسئلتى ٠

قال :

ـ اخرسى ياامرأة ٠

فى الليالى المظلمة ٠٠ وحين تهب الرياح ٠٠ يصدر البناء صوتا مفزعا ٠٠ بدا لأهل الساحة كأنين امـرأة ثكلى ٠٠ أو صراخ مجموعة من البحارة سقطت سفينتهم فى عاصفة شديدة ٠٠ وبدا أيضا لآخرين كمارد يعوى فى الليالى يبث فى قلوب الآمنين من أهل الساحة الرعب القاتل ٠٠ فكانوا يأوون الى أسرتهم عند المساء ٠

فى الساعات الأخيرة من الليل أبصر الحارس شبحا هلاميا يقترب ببطء نحو البناء ٠٠ أوجس خيفة ٠ لم يشك أبدا أن هناك من تسول له نفسه أن يدنو من هذا البناء المرعب ٠٠ هو نفسه لايقترب منه الا فى الحالات الضرورية ٠٠ جعل يراقب خطوات الشبح ٠٠ كان يتعثر فى مشيته ورأسه يتلفت هنا وهناك رفع بندقيته ٠٠ وتأهب ٠ اقترب الشبح أكثر ٠٠ راقبه من مكانه ٠٠

صعد الشبح درجات البناء ٠٠ اعتلى احدى القمم ٠٠ لم يترك الشك فى قلب الحارس مكانا للطمأنينة ٠٠ وجه فوهة البندقية نحو صدر الشبح وأطلق النار ٠

بعد الحادث ٠٠ رأى الحارس وجها ملصوقا على صفحات الجرائد وفى المجلات الملونة ٠٠٠ أخذوا له صورا من جميع الجهات ٠٠ أصرت امرأة على أن يلتقط أحدهم لها صورة مع الحارس وهى تضع يدها فوق كتفه ٠٠ وكانت محطات الاذاعة تتغنى بشهامة هذا الحارس ٠٠ قال البعض انه كان حارسا أمينا يعرف واجبه تماما ٠٠

قالت زوجته :

ـ قبل الحادث تشاجرنا ٠٠ كان الأولاد يحتاجون الى أحذية ٠٠ فالشتاء على الأبواب ٠٠ قلت له عليك باحضارها فى المساء ٠٠ تشاجر معى وقال لى : من أين آتى لك بأحذية وصفعنى ٠٠ أول أمس نام أولادى بلا عشاء ٠٠ وكان فى ركن الفراش مقعيا يدخن سيجارة ٠ نظر الى فلم أستطع أن أنطق ٠

استدل أحد المحررين من هذا الموقف بينه وبين

زوجه على مدى أمانة هذا الرجل ·· وقال رغم الفقر المدقع الذى يرتع فيه فلم يفكر يوما ما آن يمد يده لشىء من جسد البناء ·

وفى ركن مهمل من احدى الجرائد كانت جثة الشبح مضرجة بالدماء ·· وحول الجسد الواهن والتى برزت منه العظام كان شريط من قماش أبيض يلتف حول خصره ·· وبعد البحث المضنى فى المعامل ثبت آن الشريط مآخوذ من جسد البناء الشاهق ·· وأدرك الجميع أن ذلك الشبح المجهول شرع عن قصد سرقة كساء البناء ··

● **زوجة الشبح :ـ**

راعتنى صورته المغتالة على صفحات الجرائد ·· ثقبت صرخاتى فراغات الساحة ·· رددت صوت صراخى ذلك البناء الشامخ ·· لم يجبنى سوى صوتى ·· نهرته ألا يفعل هذا ·· لم نجد ماندثر به وليدنا ·· نحميه من تساقط سقف حجرتنا المتداعى ·· تقيه لدغات الحشرات الكثيرة ·· قال نبيع فراشنا ·· لم يبق سوى ذلك اللوح الخشبى يبعد عنا قرصات البرد ·· نبيعه ونأكل قطرات المطر المتساقطة من ثقوب السقف أجسادنا

كيف نترك وليدنا يلفظ أنفاسه أمام أعيننا ٠٠ لم يحد
زوجى عن عزمه ٠٠ قال ان هذه القطعة لن تشعر البناء
الحجرى بالبرد ٠٠ عيناه الجاحظتان بلا حياة ٠٠ حركت
الجريدة عسى أن ينهض من كبوته ٠٠ سألت أبناء الساحة
أن يقرأ لى ماتحت الصورة من سطور ٠٠ لمحت الدهشة
تمسح وجوههم ٠٠ صحت فيهم أن ذلك الرجل زوجى ٠٠
لم يرتكب جُرْما ٠٠ ماذا تقول تلك الجرائد البكماء ٠٠
زوجى كفنته السطور الســوداء ٠٠ لكنى لم آعثر على
أحد يستطيع أن يفك طلاسم هذه الأحرف العجماء ٠٠

ليل حارة أبو المجـد

على النافذة ارتشقت عيون أضناها الحرمان والشوق القديم ‥ لم تجفل احدى هذه العيون أو ترمش فتفقد فى لحظة صغيرة مشهدا ربما يكون عـونا لها فى الليل الطويل ‥ ودفئا لفراشها الخالى ٠

الرجال أصبحوا ذكرى أليمة كلما حاصرتهن فوق أسرتهن الشاغرة تتضوع رائحة الرجال وعرقهم وعبق أجسادهم ‥ فينداح آلم البعد فى قلب منزوع الشوق ‥ وهاهو صوت مخيمر المجـذوب يشـدهن الى عالم الحـرام ‥ عالم مفتـون بالحب والشـوق والرعشات الأولى الطيبة ‥

ـ هل سيغلقان النافذة ؟‥

وتشق ضحكة ناعمة فضاء حـارة أبو المجـد ‥ فتستقر اللهفة فى الصدور الخاوية ‥ ويتمثلن بعيون أمضها السهاد أجساد أزواجهن السمراء ٠

جريدة المساء ١٩٨٢/٣/٤

لقد مسحت الشمس والعرق أجسادهم فكستها بلون قرمزى يميل الى السمرة .. ماذا بقى منها الآن ؟.. عظام تكاد تنفر من بين خلاياها اللحم .. أجساد متعطشة للنوم والراحة الطويلة .. عناء أيام وليال من الكد والتعب .. ماذا بقى من أحلامهن سوى العتاب والحسرة .. وهاهن يفترشن أماكن بجوار أبواب الدور .. يراقبن الرائح والغادى .. يحكين عن ماضيهن الآفل ..

- شوق .

وبألم يصرخ صوت مخيمر المجذوب .. يسأل عن شوق .. ولايملكن سوى رغبة فى التهامس من خلف المجذوب .. لله .. ترى أين شوق الآن ؟..

خطفها المجهول .. أطلقت لنفسها العنان وحطمت قيود حارة أبو المجد .. وهامت تحوم حول النهر الفائض لتروى عطش جسدها الذى أوشك على الذبول.

صلصلت ضحكة من خلف النافذة المواربة .. مازال الضوء يتوسد أرض الحارة .. وهاهى ذى الأضواء المجاورة تنسحب ويهيمن الظلام ..

كم يحلو الظلام لهن .. فى جوفه يدفن آلامهن

وحسرتهن وينظرن بعيون واجفة ·· ويعقل يملك القدرة على تخيل ماذا يحدث خلف النافذة الوحيدة المضيئة ·· يالها من ليلة ··

سهرن طوال الليل يحتفلن بزفاف ابنة مبروك الخباز ·· احتسين شرباتها وانحسرت الليلة ·· أوشك الظلام الدامس أن يطمس معالم الحارة ·· فخرجن ليفترشن أبواب دورهن يتجمعن فى حلقة دائرية أمام أحد الأبواب ·· يترقبن عودة الرجال ·· وينهشن لحم بعضهن البعض ··

داخل النافذة المغلقة المضيئة قالت العروس :

ـ مبارك ·

قال الزوج الجديد :

ـ مبارك ·

وأطلقا ضحكاتهما تدغدغ فضاء حارة أبو المجد ·· ولا يدع صوت مخيمر المجذوب ليل الحارة هادئا ·· يصرخ بلا انذار :

ـ شوق ·

تمصمص شفاه الحلقة الدائرية :

ـ اختفت دون رجعة .

ـ سيقرصها الجوع فتجيء اليه راكعة .

وكم منهن وددن أن يفعلن مثل شوق .

ـ هو السبب .. تركها وحدها .

ـ كان يجمع لها المال فى بلاد العرب .

ـ قال سيبنى لها قصرا من ذهب .

ـ تركها وحيدة سنوات وسنوات .

ـ ضاعت شوق وخزن مخيمر المال .

فى الصباح خرجت العروس بذراعين عاريين .. كانت بسمة تألق ونشوة ترين على وجهها ... تحمل الذراعان طستا مملوءا بماء تسبح فوقه فقاعات بيضاء .. همست النسوة وداربن بسمة غريبة .. بطول ذراعيها طوحت بالماء على أرض الحارة .. تشربها التراب وبخرته شمس الصباح ..

ـ صباح مبارك .

تختفى فى خجل خلف البــاب .. وتمضى الليلة الأولى .. ويصرخ مخيمر فى فضاء حارة أبو المجد :

ـ شوق .

فى الليلة التالية .. قالت احدى النسوة :

ـ مسكين مخيمر .. حينما عاد وجد شوق فى أحضان آخر .

قالت أخرى :

ـ هل رآهما بعينيه ؟.

ـ لو لم يراهما ماأصاب عقله مس .

ـ يقول البعض انها هربت قبل عودته من بلاد العرب .

داخل النافذة قال الزوج الجديد :

ـ لقد مضى الاسبوع فى غمضة عين .

قالت العروس :

ـ ياخسارة .

قال :

ـ سأذهب فى الصباح للعمل .

ـ سأنتظرك .

قال :

ـ ربما أعمل طوال النهار .

ـ حرام هذا والله .

ـ وربما لاترينى الا بعد أسبوع ٠

ـ سأنتظر عودتك ٠

قالت امرأة أخرى :

ـ لقد ابتلع العمل زوجى ٠

قالت احداهن مستطردة :

ـ ماعدت أراه ٠٠ وان أتى فى أواخر الليل ينام كالبهيم ٠

قالت غيرها :

ـ سافر أبو الأولاد للعمل فى الخارج ٠

ـ متى يعود ؟٠

ـ علم هذا عند الله ٠

ويبقى الأمل فى عودة الرجال مستقرا فى القلوب الخاوية ٠

ـ شوق ٠

سأل مخيمر المجذوب الأبواب ٠ النوافذ ٠ الصبية٠ النساء ٠٠ لا أحد يجيب ٠٠ تاهت شوق يامخيمر وأنت تجمع المال ٠٠ خبأته فى مكان لاتبوح به لأحد ٠

وعند الباب جلست العروس الجديدة تترقب زوجها ليلة بعد ليلة ·· حين جاء قال :

ـ لقد تعبت كثيرا ·

قالت فى حنان :

ـ سلامتك ·

ـ أعدى لى حماما ساخنا ·· أريد أن أغتسل ·

قالت :

ـ حالا ·

استحم ·· تجفف ·· بدا متهالكا ·· قال :

ـ هل أعددت العشاء ؟·

قالت :

ـ جاهز ·

لم يتناول شيئا ·· كان التعب قد نال منه فراح يغط غطيطا دون أن يبرح مكانه ·

فى اليــوم التــالى أطلت العروس من النافذة ·· ترقبت الحارة ·· رأت النسوة عند أبواب الدور ··

غاب زوجها عنها •• قالت فى نفسها • لماذا لا أجلس مثلهن لأقتل النهار الطويل ؟•

فى الليلة التالية خرجت الى عتبة الباب •• جلست وحدها فى بادىء الأمر •• قالت لنفسها : الهـواء هنا منعش فلأبق حتى يعود زوجى •

فى ليلة أخرى قالت احدى النسوة :

ـ مساء الخير •

ردت قائلة :

ـ مساء النور •

فى ليلة تالية •• قالت لها أخرى :

ـ لماذا لاتجلسين معنا ؟•

قالت لنفسها : لماذا لا أفعل ؟•

قال مخيمر المجذوب :

ـ ضاعت شوق •

في ليلتها الأولى لها معهن راحت تقص ماذا فعل زوجها بها ٠٠ أصبح الزوج ذكرى ٠٠ يخرج فى الصباح ويعود منكسر الظهر وينام كالجبل ٠٠

حينما أوغلت الليالى بهن ٠٠ قالت العروس الجديدة :

ــ ألن تحدث زيجة جديدة فى الحارة ٠

قلن فى صوت واحد :

ــ نأمل ذلك ٠

وكان الليل ثقيلا ٠٠ ثقيلا ٠٠ وعيونهن استقرت على أرض الحارة فى أسى غريب ٠٠ والنافذة قد أغلقت تماما ٠٠

وساد الحارة ظلام حالك ٠٠

جمهورية مصر العربية

مطبوعات
المجلس الأعلى للثقافة

رقم

- ٢٧٢ -

القاهرة
١٤٠٣ ـ ١٩٨٣

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٣/٥٣١٣

ISBN ـ ٩٧٧ ـ ١٢٢٠ ـ ٠ ـ ٧ ـ ١

